ردود فعل جديدة على نداء الآداب II

في ما يلي بعضُ ردود الأفعال الأخرى على النِّداء الذي وجَّهه صاحبا الآداب، عبر الصحف اللبنانيَّة وعبر المجلّة نفسها، من أجل إنقاذ المجلة على مشارف يوبيلها الذهبيّ... علماً أنَّ بعض الكتّاب هنا استندوا إلى ما شاع عن «إغلاق» المجلّة قبل أن يُبثَّ النداء.

سلامي عليك يا زمان!

جريدة القاهرة ـ مصر (٩ كانون الثاني / يناير ٢٠٠١)

[...] لم أتنبَّهْ إلى أنَّني نسيتُ أن أَطْلب من سامي خشبة كتابةَ مقال عن مجلة الآداب، إلاَّ بعد أن عدتُ إلى شارع الكورنيش أنتظر تاكسياً يعيدني إلى بيتي. كنتُ قد قرأتُ في الصباح خبراً يقول إنَّ الدكتور سهيل إدريس صاحب مجلة الآداب البيروتيّة نَشَرَ بياناً في العدد الذي صَدَرَ منذ أسبوع يعلن فيه أنه قد يكون العدد الأخير، وأنَّ المجلة ستتوقَّف عن الصدور بسبب ما تواجهه من منافسة وما تكبّده في إصدارها من خسائر لم يعد له قِبَلٌ بها، وأنَّه سيعيد إصدارها لو توفَّر له العددُ الكافي من اشتراكات الأفراد والهيئات والمؤسسات. أحزنني الخبرُ، وتذكرتُ بياناً مشابهاً نشره أحمد حسن الزيّات في العدد الأخير من مجلة **الرسالة** التي توقَّفتْ للأسباب نفسها عام ١٩٥٣.

كنتُ تلميذاً في المدرسة الإعداديّة، حين أدركتُ الأعداد الأخيرة من **الرسالة** بعد أن شاخت وتدهورتْ أحوالُها، فاسمرّ ورقُها واخشوشن، وهبط مستوى مقالاتها. ولم أحزنْ عليها إلاَّ بعد أن نهض الجيلُ الذي عاصر أيامَها الذهبيَّة يودِّعها بمرثيّات مطوّلة تتحدَّث عن الدور الرائد الذي لعبتْه على امتداد ثلاثين عاماً كانت خلالها المجلةَ الثقافيَّةَ الأكثرَ انتشاراً وتأثيراً في كل أنحاء الوطن العربيّ، يلتقي على صفحاتها كلُّ الكتّاب والأدباء والقرّاء المهتمِّين بالأدب والثقافة من المحيط إلى الخليج، فيتعرَّف كلٌّ منهم على إبداع الآخرين في الشعر والقصة والنقد، ليكتشفوا أنَّهم أبناءُ ثقافة واحدة، تتنوَّع روافدُها، في زمنٍ كانت فيه وسائلُ الاتصال بين الشعوب لا تزال شبه بدائيّة. وازداد حزني عليها حين قرأتُ فيما بعد مجلّداتها خلال سنوات القوة والتألُّق.

لكنّ صدور الآداب ما لبث أن عزّانا عن فقدها. وكان صاحبها سهيل إدريس مثقفاً لبنانيّاً شاباً درس الأدبَ في باريس، كما فعل أحمد حسن الزيّات، وعاد إلى بلده ليؤسِّس المجلة عام ١٩٥٣، لتَجْمع ـ كما كانت **الرسالة** تفعل ـ بين الأصالة والمعاصرة، وبين القديم والجديد، وتحاول أن تَخْلق وشائجَ بين روافد الثقافة العربيَّة بأن تفتح صفحاتها لكلّ الأدباء والمثقفين العرب من المحيط إلى الخليج، وأن تواصل الدور الذي كانت تقوم به **الرسالة** في الجمع بين الثقافة العربيَّة والثقافة الأوروبيَّة، وخاصةً الفرنسيَّة. وعلى صفحاتها، وعبر منشورات الدار التي كانت تَحْمل اسمها، عرف جيلُنا سارتر وسيمون دو بوڤوار وأراغون وريجي دوبريه وناظم حكمت ولوركا وپوليزير وفرانز فانون، وعرفنا أدباء عرباً من المحيط إلى الخليج.

بدأتُ قارئاً لـ الآداب، ثمّ أصبحتُ كاتباً فيها، قبل أن ألتقي صاحبَها بسنوات طويلة. كنتُ أكتبُ المقال وأجوِّده قدرَ ما أستطيع وأرسله له بالبريد، فأجده منشوراً قبل أن يكون لي اسمٌ أو وزن، ومن دون أن أسأله مكافأة. وكانت سعادتي غامرة يومَ أَرْسل لي خطاباً بخطّ يده، يكلِّفني فيه كتابةَ مقالٍ عن تاريخ القضية الفلسطينيَّة لعدد خاصّ كان يخطّط لإصداره، ويُخْطرني فيه بأنَّه سوف يَدْفع لي خمسةَ جنيهات بدلاً عن المجهود الذي سوف أبذله فيه. وأمضيتُ ستة أسابيع أقرأ وأكتب وأعيد القراءة والكتابة، لأَفهم الموضوعَ قبل أن أكتب عنه، وأرسلتُ له المقال فنشره، وكان دراسة طويلة استغرقتْ صفحات كثيرة من المجلة. وكانت سعادتي بنشره، وبأنَّني قد فهمتُ الموضوع أثناء محاولتي كتابته، لا حدّ لها. وحين وصلني خطابٌ منه يقول إنَّه تقديراً منه لما بذلتُه في الكتابة قد رَفَعَ البدَل إلى عشرة جنيهات ويرجوني أن أواصل الكتابة في الآداب، مشيتُ في الأرض مرحاً، ودعوتُ فتاتي إلى نزهة على شاطئ النيل.

منذ سنوات تلقيتُ خطاباً من ابنه الدكتور سماح إدريس يقول لي فيه إنَّه تولّى رئاسةَ تحرير المجلة، التي تعرّضتْ لما تعرّضتْ له الصحفُ اللبنانيَّة من متاعب بسبب الحرب الأهلية، ويدعوني للمشاركة في تحريرها بحُكْم العشرة القديمة. ومع أنَّني نويتُ أن أفعل، فإنَّني لم أستطع أن أفي بما عاهدتُ نفسي عليه.

الآن تسقط الآداب كما سقطتْ أحلامُنا، وتحترق كما احترق عمرُنا، وتشيخ كما شاخت حبيباتُنا، فنعجز عن أن نفعل شيئاً ينقذها... إلاَّ البكاء على الأطلال!

صلاح عيسى
(ناقد وصحفي مصري)

في رثاء المجلة

جريدة الأسبوع ـ القاهرة (٢٢ كانون الثاني / يناير ٢٠٠١)

حزنتُ حزناً عظيماً للبيان الذي نشره الدكتور سهيل إدريس في العدد الأخير من مجلّة الآداب البيروتيّة، يقول فيه: إنّ هذا العدد قد يكون الأخيرَ في مسيرة هذه المجلة لأنّها أصبحتْ عاجزة عن المنافسة، وإنّها إذا توفّرتْ لها المصادرُ الماليّة مستقبلاً فمن المحتمل أن تعاود الصدور. وتعبير «العجز عن المنافسة،» كما هو واضح، رقيقٌ بما يتّسق وشخصيةَ الدكتور سهيل الذي نُحسّ بأنّه يدرأ عن نفسه الشعورَ بالخجل إذ قال إنّه عاجز مادياً عن تمويل المجلة لتواصل الصدور. فالواقع أنّه ليست هناك مجلات أدبيّة عربيّة يمكن أن تَدْخل في منافسة مع مجلة الآداب البيروتيّة، حتى تلك التي تُصْدرها وزارةُ الثقافة في البلدان العربيّة، وتُنفق عليها بسخاء لتَصْدر في صور بهية وطباعة فاخرة، على ورق صقيل وتباع بأسعار زهيدة في متناول كلّ مستويات القرّاء. ثم إنّ مجلة الآداب البيروتيّة لم تكن في يوم من الأيام قابلةً للمنافسة، لأنّها طولَ عمرها ذاتُ وضعٍ خاصّ ومكانةٍ خاصة في نفوس جميع المثقفين العرب من مبدعين ودارسين ومفكّرين وباحثين.

لقد فُجعتُ حقاً في هذه المجلة الحميمة أن تختفي من الحياة لأيّ سبب من الأسباب، وهي جزء لا يتجزّأ من شخصية جيلنا على امتداد الوطن العربيّ، من المحيط إلى الخليج. لا أظنّ أنّ مثقفاً واحداً في جيلنا العربيّ لم يرتبط بمجلة الآداب البيروتيّة كاتباً أو شاعراً أو باحثاً أو قارئاً. كثيرون مثلي لم يكونوا من كتّابها الدائمين؛ فعدد المرّات التي تعاملتُ فيها مع هذه المجلة ككاتب لا تصل إلى عدد أصابع اليد الواحدة. ولكنّني مع ذلك كنتُ، ولا أزال حتى هذه اللّحظة، دائمَ الحرص على تذكُّر موعد صدورها. وحين كانت تتأخّر في بعض الأحيان، بسبب ظروف الحرب اللبنانيّة، كان غيابُها يَتْرك في النفس فراغاً مقلقاً وبعضَ التوجُّس من توقُّفها. وفي أحيان كثيرة جداً كان المبرِّر الوحيد لتكبُّدي مشقّةَ النزول إلى وسط المدينة هو المرور على فرش «مدبولي» للسؤال عن مجلة الآداب البيروتيّة. ولقد أشتري العدد الجديد وأضعه على مكتبي شهوراً طويلة قبل أن أَشْرع في قراءته، إلاّ أنّني لا بدّ أن أكون قد ألممتُ بمحتواه الإجماليّ، وخطفتُ قصيدةً من هنا وقصةً قصيرة من هناك أو رسالةَ أحد المراسلين في إحدى البلدان العربيّة. وسواء عدتُ لقراءة العدد بسرعة أو بعد حين، فإنّ بيني وبين مجلة الآداب البيروتيّة شعوراً دائماً ومقيماً بأنّني يجب أن أعود إلى هذا العدد أو ذاك، بل قد أعود بالفعل إلى العدد الذي أعنيه فأسهر عليه ليلةً كاملة أقرأه من الغلاف إلى الغلاف، ومع ذلك يبقى الشعور قائماً بأنّني يجب أن أعود إليه. تلك هي عظمة المجلات الأدبيّة والدوريّات الثقافيّة الناجحة، تتحوّل إلى جزء من وجدان الإنسان، من لحمه ودمه. هكذا كانت مجلة **الرسالة** لأحمد حسن الزيّات ومجلة **الثقافة** لأحمد أمين. كانت **الرسالة** جامعة ثقافيّة تخرّجتْ منها أجيالٌ ناضجةٌ مستنيرة من المبدعين والنقاد. وحينما توقّفتْ في أوائل الخمسينيّات لعجز صاحبها عن تمويلها قامت مجلة الآداب البيروتيّة وأخذت منها الشعلة. وكانت على مستوى المسؤوليّة حقاً، فأسهمتْ في بناء حركة الشعر العربيّ الحديث، وقدّمتْ شعراءها لأوّل مرّة وتبنّتْهم حتى كبروا، وأسْهمتْ في تطوير القصة والرواية والمقالة النقديّة والترجمة الأدبيّة. الواقع أنّها قامت بدور عظيم في حياتنا الثقافيّة، فهل نتركها تتوقّف هكذا بكل بساطة؟ واللّه لا أدري ماذا أفعل.

خيري شلبي

(روائيّ وصحفيّ مصريّ)

ماذا فعلت المجلة القوميّة أمام هجمة السوق؟

أخبار الأدب ـ القاهرة (٤ شباط / فبراير ٢٠٠١)

سبق للدكتور سهيل إدريس أن ربط توقُّف مجلة **الثقافة والرسالة** في مصر أوائلَ الخمسينيّات بغياب الملَكية، مشيراً إلى أنّ تأسيسه لمجلة الآداب البيروتيّة عام ١٩٥٣ كان مرتبطاً بظهور عبد الناصر والمشروع القوميّ العربيّ. ومن هنا يكون نداءُ الآداب أعمقَ من محنة مجلةٍ تتعثّر خطواتُها بسبب ضائقةٍ ماديّة حادّة.

طوال ما يقرب من ٥٠ عاماً كانت الآداب صوتاً فاعلاً وحاضراً في الحياة الثقافيّة العربيّة. ارتبطَتْ بصعود المشروع الناصريّ مثلما ارتبطتْ بالرؤى الحداثيّة في الإبداع العربيّ؛ وهكذا اجتمع فيها الالتزامُ السياسيّ بالحريّة الإبداعيّة. وطوال الخمسينيّات والستينيّات كان النشر في مجلة الآداب امتيازاً يسعى إليه الكتّاب، مثلما كان معياراً وشرعيةً لكثيرين من المبدعين. كانت الآداب هي الامتداد لدى محمود درويش، وهي الأفق العربيّ الواسع الذي «أَخَذَ منها أصابعَه والشعرَ الحديث..» بينما أوضح نزار قباني فضلَ مجلة الآداب عليه إنساناً وشاعراً بقوله: «إذا أصبحتُ مع الزمن شيخَ طريقةٍ في العشق، وربما شيخَ طريقةٍ في الشِّعْر، فإنّ الآداب لها الفضل في تعليمي الأبجديّتين.»

اسألُ رنا إدريس [مديرة دار الآداب] عن طاقة الآداب التمرُّديّة فتجيبني: «في قدرتها الدائمة على تبنّي خروج الشعراء.»

ـ لماذا الشعر، برغم أنّ سهيل إدريس روائيّ؟

ـ لأنّ الشعر أكثر قدرةً على كسر التقاليد وأكثر قدرةً على التمرُّد.

وفي إجابة رنا الكثيرُ من الصواب. فقد امتلكت الآداب طوال تاريخها شجاعةَ الشعراء. فعندما أَغْلقتْ قصيدةُ «الكعكة الحجريّة» لأمل دنقل مجلةَ **سنابل** في مصر، دافع سهيل إدريس عن القصيدة بأن نَشَرها في الآداب مؤكّداً: «إذا كان الشاعرُ جريئاً إلى حدّ كتابة القصيدة، فهل يكون كثيراً أن أجرؤ على نشرها؟»

◆ ◆

ترى مَنْ يَحْمل الآن عبءَ الهزيمة فينا:/المغنيّ الذي طاف/يَبْحث للحلم عن جسدٍ/يرتديه/ أم هو الملك المدّعي أنّ حلم المغنّي تجسّد فيه؟/هل خُدِعتُ بملْكك.. حتى/ظننتُكَ صاحبي المنتظر/أم خُدعتَ بأغنيتي/وانتظرتَ الذي وعدتُكَ به/ثم لم تنتصرْ؟/أَمْ خُدِعنا معاً بسراب الزمان الجميل؟» (من قصيدة «مرثيّة العمر الجميل»، لأحمد عبد المعطي حجازي).

سؤال أعمق من محنة مجلة تنغلق أسواقُها وتتراجع أرقامُ توزيعها. إنّه سؤالٌ بحاجة إلى مراجعة شاملة، وعلى أصحاب الآداب أن يتحمّلوا نصيبَهم كاملاً من المسؤولية: كيف كانت مراجعاتُهم؟ كيف كان تطوُّرُهم وتطويرُهم؟ إلى أيّ مدى كان تجديدُ الإبداع وكان تجديدُ الفكر القوميّ؟ إلى أين انتهى مشروعُهم الثقافيّ العربيّ؟ ما علاقتُه بالإبداع الحديث وبالمبدعين؟ ما مدى الحركة وما حجم التأثير؟

سؤال يمتدّ إلى خصوصيّة المجلة واستقلاليّتها التي أصبحتْ خلال السنوات الأخيرة محضَ مطبوعة ثقافيّة ملْحَقةٍ بدار النشر تَخْدم مطبوعاتِها وإصداراتِها؛ الأمرُ الذي لا بدّ له من فضّ اشتباك للحفاظ على الاستقلاليّة والخصوصيّة الثقافيّة وللخروج من آلية السوق التي فَرَضَتْ خلال السنوات الأخيرة ظواهرَ جديدةً في حركة النشر، منها: تعدُّدُ المجلات الثقافيّة التابعة لدُور النشر، ومنها دخولُ رجال الأعمال إلى ساحات النشر وتأسيسُهم للعديد من المطبوعات والمجلات والجرائد. وهو ما يَفْرض سطوةَ رأس المال، بجميع شروطه الضاغطة، على الثقافة والنشر، بما ينتهي إلى سيادة الدوْر الإعلاميّ والترويجيّ وتهميش الثقافة لحسابات ومصالح استهلاكيّة. وربما أَدْرك صاحبا الآداب مخاطرَ رأس المال، إذ أعْلن سماح إدريس رئيسُ تحرير الآداب في العدد الأخير أنّ المجلة «لا تَقْبل الأموالَ المبيِّضة (من تهريب السلاح) ولا أموالَ السلاطين أو مستشاريهم، ولا أموالَ الرؤساء الذين يريدون أن يُوهِموا الناسَ بالتنوير والعقلانيّة في مواجهة الأصوليّة والتطرُّف.»

ولأنّها أزمة ثقافيّة، فهي بالضرورة أزمةُ قارئ تغيّرتْ خلال السنوات الأخيرة مصادرُ ثقافته، بحيث لم يعُد الكتابُ المطبوعُ هو المصدرَ الوحيدَ للمعرفة، بما انتهى إلى تراجع القراءة إلى الحدّ الذي وصل بالكثير من المطبوعات إلى التوقُّف والإعلان عن ذلك بعد أن تراجَعَ تماماً عددُ أرقام التوزيع. وقد نَشَرنا في أعداد سابقة إحصائيّةً خاصةً بمجلات هيئة الكتاب المصريّة وصلتْ نسبةُ المرتجَع لبعض المجلات فيها إلى ٩٧٪ عن إجماليّ المطبوع! ولعلّ ذلك هو ما دَفَعَ دارَ الجديد اللبنانيّة إلى إعلان هذا العام ٢٠٠١ عاماً للقارئ بحثاً عن كيفيّة استعادة حضوره مرّةً أخرى.

ما الذي تفعله مجلةٌ كـ الآداب أو غيرها من المشاريع الثقافيّة الجادّة في مواجهة ثقافة استهلاكيّة تَستخدم الثقافةَ واجهةً لاحتكار السوق؟ ما الذي تفعله الآداب أمام هجمة تصيب الثقافةَ على اتّساعها؟ إنّها محنةُ لغةٍ بحاجة إلى تجديد أدواتها وأسئلتها، لا لتساير لغةَ السوق السائد بل لتحاربه.

عبلة الرويني
(كاتبة مصريّة)

آداب **اليأس!** — مجلة النقّاد ـ بيروت (٥ شباط / فبراير ٢٠٠١)

مجلة الآداب اللبنانيّة كغيرها من المنابر التي يمرُّ عليها طورُ الشيخوخة، فيَخْفت ضوؤُها ويزول ألقُها، تماماً عبر التسلسل العُمْريّ المنتقل من الفتوّة إلى الشيخوخة.

لكنّ شيئاً من الرفض والتجمُّل والمباهاة يميِّز أصحابَ الآداب، فلا يعترفون بهرمها وعجزها، بل يضعون كافة المساحيق والعطورات على العجوز التي لا يمتلك طبُّ التجميل حلاً لتجاعيدها.

عوضاً عن اعترافهم بشيخوختهم يأخذون بالتحدُّث عن «مشاكل ماديّة،» فيصرِّحون يميناً وشمالاً طالبين العونَ الماديّ من أهل الخير، مع أنّ أحداً لم يتأكّد أنّ هناك أزمة ماديّة بالفعل، بل ربما الأمرُ هو مجرّد افتعالٍ يفيد بتضخيم الشيء الصغير الذي هو الحجمُ والدورُ وسنُّ اليأس.

كتبت الشاعرة عناية جابر مقالاً في جريدة **السفير** في ١٨ كانون الثاني ٢٠٠١ تأزراً مع صرخة الآداب. ويبدو أنّها جمعتْ «دار الآداب» بمجلة الآداب، مما دفع بـ «رنا إدريس» لتوضيح ذي طابع كوميديّ يفيد بأنّ الصرخة تتعلّق بالمجلة وليس بالدار، في عدد **السفير** ٢٢ كانون الثاني ٢٠٠١. وأخذتْ إدريس تشرح تكاليف المجلة، متناسيةً القول الشهير: «طحّان لا يغبِّر على كلأس.»

فماذا تقوّلتْ عن تكاليف الإخراج الداخليّ وتعويضات الكتّاب؟ ومن المعروف أنّ تعويضات مجلة الآداب غالباً ما تكون محصورة بنطاق ضيّق للغاية، فلا يدفعون لأحد كما يعرف الجميع. وكذلك تُبرز إدريس أنّ المجلة فشلتْ بكسر «الرقابات العربيّة» ورفضت الانضواء «تحت جناح أيّ سلطة عربيّة.» كل هذي الرؤى التضخُّميّة تتكاثر في وقت توقفتْ فيه مجلاتٌ أكثر أهميّة ولم تُثِر الغبارَ نفسَه مثل الوقت الذي توقفتْ فيه **الكرمل** و**الناقد** وسابقاً **شعر**. فقط عند أهل الآداب فإنّ دعوى التسوُّل علنيّة والتضخُّم علنيّ والادّعاء فاضح ومكشوف، ولم يهمس أحدٌ في آذان أصحاب الآداب أنّ مجلّتهم غير مقروءة منذ نهاية الثمانينيّات وينبغي على أصحابها الاعتراف بسنّ اليأس الذي دخلوه ومجلّتَهم منذ وقت طويل!

عهد فاضل

(٩)

تعليق

تأمل الآداب، بحكم المهنة، ألاّ يكون الأستاذُ الفاضل «صوتَ ريِّسه،» وتتساءل:

١ ـ ما الكوميديّ في أن تعاني مجلةٌ أكثرَ من أن تعاني دار؟ أليس هناك فرقٌ بين مجلةٍ لا تُباع إلا وقتَ صدورها ثم تُتلَفُ مرتجعاتُها، وكتابٍ لا تُتْلَفُ مرتجعاتُه ويُباع سنةً بعد سنة؟ كان عليه أن يسأل، مثلاً، لِمَ أُغلقتْ مجلاتٌ «أكثر أهميّة» (كمجلة **الناقد**) وبقيت الدار التي تَنْشرها.

٢ ـ ليحدِّدْ روميو فاضل الذي لن تَعْرف التجاعيدُ إلى وجهه سبيلاً: هل تعويضاتُ الآداب للكتّاب «غالباً ما تكون محصورة بنطاق ضيّق للغاية،» أم أنّ أصحابها «لا يَدْفعون لأحد» على الإطلاق؟ كان عليه أن يَسْأل كتّابَ الآداب إن دَفَعَتْ لهم تعويضاتٍ عند تكليفها إياهم أم لم تدفع، بدلاً من أن ينشغل بذمّ العجائز.

سماح إدريس

أحضنُوا الآداب

جريدة اللواء ـ لبنان (٢٠ شباط / فبراير ٢٠٠١)

"إذا وقعتْ واقعة عظيمة، فلا تبكِ ولا تضحكْ ولكنْ فكّرْ".

سبينوزا

لم تَشْهد الثقافة في الأزمنة العربيّة الغابرة أزمةً حادّةً عصفتْ بها كتلك التي تَشْهدها اليوم، حيث أُطلق العنانُ للمرتزقة وورثةِ الهزيمة، وحوصِر القلمُ الحرُّ الجريء، وكُفِّر وهُجِّر، فإذا برمي مكتبة المأمون بموروثها الثقافيّ النفيس في دجلة من قبل هولاكو خان في العام ١٢٥٨م أقلُّ إيلاماً من فظاظة ذوي الألباب الخاوية إلاّ من أدران التحجُّر.

ولا غرابة في تشبيهنا محنةَ الثقافة العربيّة بالواقعة العظيمة في عصرٍ يَكْتسح فيه أخطبوطُ عولمة السياحة ورأس المال العالَمَ من أقصاه إلى أقصاه، جاهداً في تكريس نفسه النموذجَ «السوسيو ـ ثقافيّ» الواحدَ الأوحد؛ في حين أنّ أشباه الحكّام ووزارات الثقافة تتلذّذ في تهميش العقول وتؤسِّس لحالة ثقافيّة غير سويّة، قوامُها طابورٌ من مثقفي السلطة.

وفي جوّ الصدّ والمنع والرقابة واصطناع الحواجز من جهة، وواقع المرارة والانكسار والخذلان وصعوبة تحصيل العيش من جهة أخرى، يقف المثقفُ الملتزمُ فارساً يأبى الترجُّلَ والإذعانَ لمنطق التصفية. وهذا ما فعلته مجلةُ الآداب طوال أكثر من ثمانية وأربعين عاماً، إذ بقيتْ عصيّةً لا تلويها عواصفُ الهزيمة والارتهان، حتى ناءت تحت عبء الحصار والأزمةِ الاقتصاديّة وانخفاضِ القدرة الشرائيّة للمواطن (وقد تتعرّض أيّة دوريّة أخرى ملتزمة لهذا الموقف). لذا، هبوا أيُّها المثقفون الشرفاء وتنادَوْا لنصرة الآداب. وأنا بدوري، كقارئ لها، أُطلق نداءً إلى كلّ الذين يَنْطقون بالضادّ وأربأ بهم أن يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء إمكانية احتجاب هذا الصرح الأدبيّ الكبير، لأنّ الثقافة ملاذنا الأخير بل إنّها آخر قلاعنا. أما ندائي هذا، فمردّه إلى جملة إنجازات حقّقتْها الآداب والقيّمون عليها:

١ ـ حملتْ لواءَ القضايا القوميّة، وحرصتْ على تناول الأحداث والنتائج بالتحليل والنقد (من ثورة ٢٣ تموز إلى تحرير الجنوب اللبنانيّ وبقاعه الغربيّ).

٢ ـ كانت القضية الفلسطينيّة وما زالت من الآداب بمنزلة الولد من أمه، إذ جهدتْ على امتداد نصف قرن في إبراز هولِ ما يجري على أرض فلسطين، فأَوْلته اهتماماً استثنائيّاً وحشدَتْ كلّ إمكاناتها لتغطية هذا الموضوع تغطيةً وافيةً وشاملةً (ملف النكسة ـ الاتفاقات السريّة ـ انطلاقة الثورة الفلسطينيّة ـ مسار المفاوضات ـ الحوار بين الفصائل الفلسطينيّة ـ القمم العربيّة المتعاقبة من الخرطوم إلى فاس فشرم الشيخ ـ التطبيع ـ الانتفاضتان الأولى والثانية ـ النهج الإنحرافيّ، إلخ...). وقد عرضت

الآداب ذلك كلّ بلا مساومة ولا مواربة، وكانت مقالة رئيس تحريرها الدكتور سماح إدريس في العدد ٢٠٠٠/١٢/١١ بمثابة تحليل وافٍ لمقدّماتٍ وأحداثِ انتفاضة الأقصى وطَرحتِ البدائلَ الجريئةَ والمنطقيّة.

٣ ـ إليها يعود الفضلُ في تعريفنا الشعرَ الحديثَ، والحداثةَ بإبداعاتها وموضوعاتها. وهذا ما حدا بشاعرٍ من حجم محمود درويش إلى أن يقول: «من الآداب أخذتُ أصابعي والشعرَ الحديث.»

٤ ـ اختصّت الآداب بدراسة ظاهرات نقديّة وشعريّة وقصصيّة على امتداد الوطن العربيّ خلال مرحلة تاريخيّة كاملة، بحسب ما جاء على لسان المفكّر والمعلّم الدكتور حسين مروّة.

٥ ـ تفرّدت الآداب بإجراء حوارات غنيّة جداً مع الكتّاب والشعراء العرب نساءً ورجالاً حول مسيرتهم وأعمالهم ومواقفهم.

٦ ـ عرّفتنا الآداب بمفكّرين تقدّميّين ملأوا الدنيا وشغلوا الناسَ على مسرح السياسة العالميّة، ومنهم مَنْ ضارع الأميركيّين وحطّم هيبتَهم في عقر دارهم، هذا فضلاً عن احتضانهم الحقّ الفلسطينيّ في النضال لاستعادة سيادته على كامل ترابه الوطنيّ، وإظهارِهِمْ عدالةَ هذه القضية أمام أنظار اللوبي الصهيونيّ الأميركيّ (أمثال: ادوارد سعيد ـ نعوم تشومسكي ـ نورمن فنكلستين).

٧ ـ عرضت الآداب ملفاتٍ أدبيّةً كاملةً جعلتنا نتعرّف أدبَ الأشقّاء العرب وحياتَهم. إذ كيف كان لنا أن نطّلع على أدب المغرب والإمارات وموريتانيا مثلاً لولا هذه المجلة؟

٨ ـ الوقفة المسؤولة والجادّة لعميد الآداب الدكتور سهيل إدريس في تقديم استقالته من اتّحاد الكتّاب اللبنانيّين، بعد أن أصبح الاصطفافُ السياسيّ والتكاذبُ الطائفيّ سمةً ملازمةً للحياة السياسيّة اليوميّة وغدا بعضُ الكتّاب حُجّاباً على باب السلطان.

٩ ـ حافظت الآداب على المستوى اللُّغويّ والأدبيّ والفكريّ للمادة المقدّمة، واختزنتْ بين دفّتَيْها ورشةً فكريّةً زاخرةً بالأنشطة المتنوّعة والآراء والإسهامات البنّاءة التي تتنافس في ما بينها لترقى بنا إلى الحياة الديموقراطيّة القويمة.

١٠ ـ تحدّي المجلّة الدائم لمنطق التدجين والاحتواء.

١١ ـ التزام أُسْرة المجلة بالخطّ القوميّ التقدّميّ الديموقراطيّ اللاطائفيّ.

وهنا، أتقدّم ببعض الاقتراحات لإخراج مجلة الآداب من أزمتها:

أ ـ إعلان حالة طوارئ ثقافيّة، وتنادي كلّ الهيئات من اتّحاد كتّاب ودُور نشرٍ ونقابتَي الصحفيّين والمحرّرين وأندية ثقافيّة واتحادات طلابيّة وشخصيّات ثقافيّة لدعم الآداب، عبر اللّقاءات الثقافيّة في الأندية والجامعات في كل المناطق، وتسطير المقالات في اليوميّات والدوريات.

ب ـ إقدام الأفراد والمؤسّسات على الاشتراك السنويّ لزيادة ريع المجلة.

ج ـ تنظيم ندوة عامة في الأونيسكو حول «الثقافة وتحدّيات الراهن» من قِبَلِ المجلة، تَعْرض من خلالها أزمتَها.

د ـ توفير إعلانات ثقافيّة للمجلة.

هـ ـ مبادرة المشتركين إلى توسيع دائرة الاشتراك عبر إقناع الجمهور بمستوى المجلة وباستقلاليّتها.

و ـ دعوة كل التقدّميّين والديموقراطيّين إلى اعتبار معركة الآداب معركتَهم الوطنيّةَ المضافة إلى الاستحقاقات الأخرى، وحثّ الميسورين منهم على اقتناء مجلّدات الآداب أو توفير اشتراكات سنويّة.

وأختم لأقول، إذا ما احتجبت الآداب ستَخْسر فلسطين أحدَ أهمّ خطوطها الدفاعيّة الثانية، وستَفْقد الثقافةُ العربيّةُ منبراً حراً متميّزاً بروح النقد والمسؤوليّة الموضوعيّة وصلابةِ الموقف وأصالةِ الانتماء.

كمال اللقيس
(كاتب لبنانيّ)

المجلات تموت أيضاً كالبشر

جريدة الشرق الأوسط (٢٣ شباط / فبراير ٢٠٠١)

ربما لا يوجد فضلٌ لمجلة على الشعر العربيّ، والشعرِ الحديثِ منه تحديداً، كفضل مجلة الآداب. فعلى صفحات هذه المجلّة نُشرتْ قصائدُ الشعر الحرّ الأولى التي ستُحْدث في ما بعد أكبرَ ثورةٍ في تاريخ الشعر العربيّ. صحيح أنّ مجلة عربيّة رائدة أخرى هي مجلة **الأديب** اهتمّت أيضاً بنشر هذا الشعر، لكنّ الآداب هي التي روّجتْ له، ونشرتْ لروّاده بكثافة، ونظّمتْ ندواتٍ ومحاور نقديّة حوله. وبذلك استطاعتْ أن توصله إلى جمهرة واسعة من القرّاء وسط معركة ضارية بين أنصاره ومعارضيه. وأكثر من هذا، ساعدتْنا على أن نتسلّم هذا الشعر، المعقّدَ والغامضَ على فهمنا كأيّة ظاهرة جديدة، على أساسٍ نقديّ سليم من خلال بابها الشهير: «قرأت العدد الماضي من الآداب..» وهكذا تعرّفنا، نحن القرّاءَ الصغارَ المرميّين في قرى صغيرة قلّما يصل إليها كتاب، على شعراء مثل السيّاب والبيّاتي وبلند الحيدري، وتعرّفنا لاحقاً على شعراء مثل صلاح عبد الصبور وخليل حاوي، وعلى نقّاد مثل محمد مندور ومحمد النويهي اللذين قدّما لنا هذه التجربة الجديدة من خلال نماذج تطبيقيّة كانت تنشرها الآداب بتكليفٍ منها.

وهكذا خرَّجت هذه المجلة أجيالاً كاملة من الكتّاب المؤسِّسين. وحتى لا نَسْقط في المبالغة، بإمكاننا أن نقول إنّ جيليْن في الأقلّ، وهما جيلا الخمسينيّات والستينيّات، قد خَرَجا من معطف الآداب. ونكران هذه الحقيقة، على عادتنا نحن العرب المغْرمين كما يبدو بقتل الأب، لا ينطوي فقط على تجنٍّ كبير، وإنّما على عدم فهمٍ للخريطة الثقافيّة العربيّة آنذاك.

أصبحت الآداب المجلة الثقافيّة القوميّة الأولى في تلك الفترة. وبالطبع هناك عوامل خارج الثقافة أسهمتْ في تحقيق ذلك - وهي عوامل لم تعد موجودةً منذ السبعينيّات تقريباً، ومرتبطةٌ عموماً بالأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة والثقافيّة العربيّة - وانسحبتْ على المطبوع في كل مكان. ولكنّ هناك عوامل خاصّة أيضاً ارتبطتْ بمؤسِّس المجلة ورئيس تحريرها سهيل إدريس، الذي حَمَلَ، آنذاك، مشروعاً تنويرياً متَّزناً، إنْ صحّ التعبير. لقد قدَّمت الآداب الثقافةَ الجديدةَ دون تعصُّب، ونشرت الشعرَ الجديد دون أن تلغي القديم، فتزاوج التراثُ والمعاصرة، والقوميّةُ والعالميّة، في معظم أعدادها تقريباً. وعلى المستوى الفكريّ، تعرَّف القارئ العربيّ على الأدب الوجوديّ، إنْ صحّ التعبير مرّةً أخرى، على يد صاحب الآداب، دون أن يتبنّاه بأكمله. ومن هنا انعكستْ في صفحاتها هواجسُ ثقافيّة وفكريّة متباينة إلى درجة التناقض، وهي هواجس الثقافة العربيّة والعالميّة آنذاك.

لقد ضعف دورُ الآداب في السبعينيّات ولاحقاً، ليس لأسباب ماليّة، أو لانحسار أهميّة الثقافة، وهي منحسرة بالتأكيد، وليس، أيضاً، لأنّها متأثِّرة بـ «المناخ الإقليميّ والعروبيّ والنضاليّ الذي يحدِّد لها سقفَها ويُبقيها في حيّز المناخ السياسيّ وأغراضه المحدودة،» كما ذهب البعضُ، بل لأسباب تتعلّق بطبيعة الحياة نفسها. إنّ المجلات تموت، حالها حال البشر. وقد ماتت مجلاتٌ وُلدتْ بعد الآداب بسنوات طويلة، وماتت قبلها بسنوات طويلة. وليس هذا المهمّ في تقديرنا. المهمّ هو الدور الذي قامت به المجلة، وهو لم تنافسها فيه أيّةُ مجلة أخرى منذ خمسينيّات القرن الماضي، ومنذ توقُّف مجلة **الرسالة** للزيّات. وحين يعود المؤرِّخون للحياة الثقافيّة العربيّة في النصف الثاني من القرن العشرين، فإنّهم لا يمكن أن يتجاهلوا الآداب أو الدورَ الذي قام به مؤسسُها د. سهيل إدريس وزوجتُه عايدة مطرجي إدريس.

في لقاء شخصيّ مع وليم كوكون رئيس تحرير مجلة **أجندة** الانكليزيّة، التي تأسَّستْ عام ١٩٥٩، والتي لا يقلّ فضلُها على الشعر الإنكليزيّ المعاصر عن فضل مجلة الآداب على الشعر العربيّ، قال والدمعُ في عينيه: «سأموت إذا توقفت المجلة، فهي حياتي.» لكنّها، للأسف، مهدّدة بالتوقُّف... ربما للأسباب ذاتها.

إنّ الحياة تغيّرتْ هنا وهناك، ولكلّ مجلة مرحلتُها، تماماً كما البشر.

فاضل السلطاني

(كاتب عراقيّ)

هل تكون ٢٠٠١ السنة الأخيرة من عمر الآداب؟ — جريدة الحياة ـ لندن (١١ شباط / فبراير ٢٠٠١)

استفتاء من إعداد وتقديم عبده وازن

انفتاح مفاجئ على مرحلة ما بعد الحداثة إثر نداء «الانقاذ» — عبده وازن (لبنان)

هل تكون سنة ٢٠٠١ السنةَ الأخيرةَ من عمر مجلة الآداب؟ هذا السؤال الذي يَطْرحه رئيسُ تحرير المجلة سماح إدريس في العدد الجديد يضع قرّاء المجلة العريقة أمام احتمالَيْن: إمّا الاستمرار في الصدور وإمّا الاحتجاب الموقت أو النهائيّ. غير أنّ هذا السؤال الذي أعْقب «النداء» الذي أطلقته أُسرةُ المجلة من أجل إنقاذ الآداب يَحْمل بعضاً من الأمل في استمرار المجلّة أياً تكن صيغتها: شهريّة أم فصليّة أم سنويّة. فالعدد الجديد الذي صَدَرَ بُعيْد إطلاق «صرخة» الاستغاثة بدا مختلفاً عن الأعداد السابقة و«غريباً» عن «نهج» الآداب ومسارها، سواء في «طليعيّته» أو «ما بعد حداثيّته» أو في «لبنانيّته» غير المعهودة! ولم يدرِ قرّاءُ هذا العدد: هل الأمر مجرّد مصادفة، أم أنّ هذا الانفتاح كان مقصوداً وخصوصاً عقب «نداء» الاستغاثة؟

المفاجأة الكبيرة التي حملها العددُ الجديد أو عددُ ما بعد «النداء» التاريخيّ هي في تلك «القفزة» الهائلة التي قفزتْها المجلّة لتقع للفور في قلبِ ما بعد الحداثة. فالملفّ الذي احتلّ قرابة ستين صفحة من المجلّة (أيْ ثلثيْها تقريباً) دار حول «تجارب لبنانيّة في السينما والفيديو والتجهيز،» أيْ حول أكثر الفنون المعاصرة طليعيّةً وحداثة. والملفّ هنا سيُحْجم عنه قرّاءُ الآداب التقليديُّون أو المحافظون والعاديُّون الذين يَمْلكون رؤيةً ثقافيّة «أصيلة،» عروبيّة وقوميّة، طالما سعَت المجلةُ نفسُها إلى ترسيخها ونشرها. ومثل هذا الملفّ قد يناسب مجلةً تعنى بالحداثة المرئيّة والمسموعة التي عَرفتْ وتَعْرف ثوراتٍ متلاحقةً في عالم الصورة والتجهيز، لكنّه حتماً لا يلائم مجلةً كـ الآداب ما برحتْ عاجزةً عن احتضان نظرية قصيدة النثر والنصّ المفتوح والكتابة السورياليّة والأدب المابعد حداثيّ.

بدا انفتاحُ العدد الجديد من الآداب على هذا التيار الحداثويّ النخبويّ الذي لا يخلو من روح المغامرة الخطرة أقربَ إلى الانفتاح المصطنع والمفتعل. حتى قرّاؤها الجدد و«المتنوّرون» قد يُحْجمون عن قراءة مثل هذا الملفّ الذي يعني قلّةً قليلةً من المثقفين والفنّانين. وربّما ظن سماح إدريس أنّه في نشره هذا الملف يعيد الآداب إلى معترك الحداثة الجديدة، ويَفْتح أبوابَ المجلّة أمام الجيل الجديد، ويَعْقد ما يُشْبه اتفاقَ مصالحة مع الثقافة اللبنانيّة التي لم تَحْظَ سابقاً بملفّ كامل. وعَبْرَ هذه الخطوة يظنّ سماح إدريس أيضاً أنّه استطاع أن يردّ أولاً على «الحداثيّين» الذين يتّهمون المجلةَ بـ «الأصالة» (كيلا أقول الرجعيّة) وعلى اللبنانيّين «الشوفينيّين» الذين يتّهمون المجلة بـ «العروبيّة» و«القوميّة» و«الناصريّة.»

كان لا بدّ إذاً من انتظار العدد الجديد من الآداب لكي تتوضّح حقيقةُ «الأزمة» التي تعانيها، ولكي تتجلى أبعادُ ذلك «النداء» الذي كانت له أصداء مختلفةٌ ومتناقضةٌ في الأوساط الأدبيّة العربيّة: البعض استقبلوا النداء بجديّة وجعلوا منه مناسبةً لمديح الآداب وخصالها العروبيّة والقوميّة ولرثاء الحلم العروبيّ الجميل وهجاء الزمن العربيّ الراهن، زمنِ الهزيمة والانحطاط والتراجع؛ والبعض استقبلوا النداء بخبث وسخرية واعتبروه «حفلة تسوُّل» تقوم بها دارٌ عريقة تَمْلك من مظاهر النجاح ما لا تملكه دار أخرى. إلا أنّ معظم ما كُتب، سواء أكان رثاء أم مديحاً، صبّ في مصلحة الآداب واعترف بما أدّت من مهمات وأدوار طوال قرابة خمسين عاماً. وكان من الطبيعيّ أن يتأثّر أصدقاءُ الآداب بما آلت إليه هذه المجلّةُ العربيّة العريقة. فهي مجلّتهم قبل أن تكون مجلةَ سهيل إدريس وأُسْرته، ومشروعُها كان مشروعَهم، ومأزقُها هو مأزقُهم، مأزقُ «الأمّة» العربيّة والواقع العربيّ والثقافة العربيّة. وإن استَخْدم معظمُ الذين دافعوا عن الآداب وتبنّوا قضيّتَها صيغةَ «الماضي» في كلامهم عنها فإنّما لأنّ الآداب تنتمي إلى ماضيهم الجماعيّ أو القوميّ. وإذا انتمت إلى حاضرهم فهو ذلك الحاضر القائم في الماضي أو المتجذّر فيه. هكذا كتب الكثيرون: كانت مجلة الآداب...

في العام ١٩٩٢ خَلَفَ سماح إدريس والدَه سهيل إدريس في رئاسة تحرير المجلة. حينذاك تفاءل الكثيرون وظنّوا أنّ الدكتور الشابّ سيُحْدث ثورةً في الآداب ويشرِّع أبوابَها أمام رياح العصر والحداثة الجديدة. لكنّ سماح إدريس بدا أشدّ «أصالة» وربّما أصوليّةً (في المعنى الثقافيّ طبعاً) من والده. وغدا خير وارثٍ لتراث الآداب ومواقفها المحافِظة ومشروعِها القوميّ والعروبيّ. وعِوَضَ أن يجعلها في خضمّ القضايا التي يَحْفل بها العصرُ الحديث راح يسوِّرها حفاظاً عليها ومخافةً من أن يَدْخل ساحتَها الآخرون المختلفون سواء أكانوا من شعراء قصيدة النثر أم من كتّاب النصوص الجديد أم من أصحاب التجارب الاختباريّة. وهكذا عاشت الآداب طوال السنوات الأخيرة في العزلة التي كانت ضَرَبَتْها على نفسها. فالأجيال الجديدة المهزومة والمعترضة والرافضة لم تجد فيها ملاذاً، وكذلك الأصواتُ الشابة المتململة من ربقة الماضي والحالمة بأفق جديد لم تجد في الآداب منبراً ملائماً.

على أنّ الآداب نفسَها لم تحاولْ أن تبحث عن الضوء الجديد الذي كان بدأ يُشْرق في معترك الأجيال الشابة، ولم تَسْعَ إلى أن تكون منبراً طليعياً وجريئاً يغامِر مع المغامرين ويراهِن على تجاربهم. ظلّت الآداب مجلة «الحداثة الماضية،» مجلةَ «العصر» ولكنْ في صيغته المندثرة. وكان لا بدّ من أن تَنْظر إليها الأجيالُ الجديدة كجزء من «إرث» الحداثة الأولى، الحداثةِ التي تخطّاها العصرُ الجديد، حداثةِ الأسئلة القومية والعروبيّة التي انتهت في هذا الخراب العربيّ الشامل.

هل تكون سنة ٢٠٠١ السنةَ الأخيرةَ من عمر الآداب؟ تَصْعب الإجابة عن هذا السؤال الذي طرحه سماح إدريس على نفسه قبل أن يَطْرحه على قرّاء المجلة. وربما هو وحده يستطيع أن يجيب عنه. وقد تكون لديه إجابة واضحة لم يشأ أن يُعْلنها مباشرةً. فالمجلّة التي فتحتْ صفحاتها فجأةً أمام حداثة الصورة ستواصل [قد تُواصِل؟] فتح الصفحات أمام المزيد من الأسئلة والقضايا المابعد حداثيّة. ولكنْ هل تكفي مثلُ هذه الخطوات لإنقاذ مجلةٍ دخلتْ «متحفَ» الثقافة العربيّة وانغلقتْ على نفسها من غيرِ ما حاجة إلى مَنْ يُغلق عليها الأبواب؟

واختصاراً لا بدّ من القول: مجلة الآداب هي مجلة الجميع، مجلةُ أصدقائها ومجلةُ أعدائها. إنّها مجلة الماضي والحاضر معاً.

هل نشرتْ لك الآداب نصوصاً؟ ——— **محمود الريماوي (فلسطين)**

هناك مئات الأدباء العرب الذين يؤرِّخون بداياتهم الإبداعيّة ببدء النشر في مجلة الآداب الشهريّة التي «تُعْنى بشؤون الفكر.» فعلى امتداد ثلاثة عقود بدءاً من منتصف الخمسينيّات، كان الاستقطاب العريض ينقسم بين مجلتَي الآداب أو **الأديب**، وعلى نحوٍ أضيق بين الآداب و**شعر**، وفي مرحلة من المراحل بين الآداب و**حوار**. وصدرَتْ في الأثناء مجلاّتٌ أخرى، في مصر وسورية ولبنان والعراق والأردنّ. لكنّ الأمر كان يختلف مع الآداب: فهذه كانت مجلّة عربيّة لدرجةٍ تغيم فيها هويةُ موطنها، فيما المجلاتُ الأخرى تَنْتسب صراحةً إلى مواطنها. وكان مقياسُ النشر في الآداب على شيء من «الصرامة،»

وخصوصاً إذا تعلّق الأمرُ بالإبداع النثريّ والنقديّ. وكان المستوى العام مرتفعاً، وحافظتْ رئاسةُ التحرير عليه بانتظام لافت. والتزمتْ بمواعيد صدورها، وبسعرٍ مبيعٍ في متناول الجميع، اللّهم إلاّ فئات الطلبة وَمَنْ يَشْكون بعضَ الضيق؛ وهؤلاء كان بوسعهم استعارةُ المجلة في طريقة أو أخرى والمواظبةُ على قراءة المجلة التي تواظب على الصدور محتفِظةً بإخراجها الفنيّ، وبكتّابٍ ثابتين، مع هامش واسع نسبياً للمبدعين الجدد.

وفي عقدَي الستينيّات والسبعينيّات لم يكن المبدِعون يصنّفون انطلاقاً من إبداعهم المحض، بل إذا كانوا نشروا في الآداب أم لا. فإذا تبيَّن أنّهم لم يَنْشروا فيها، فإنّ ظلالاً من الشكوك سرعان ما تحيق بهم. وإذا عُرف أنّهم يكتبون في **الأديب** تمّ وصفُهم بالسلفيّين وتصنيفُهم ضمن أدباء الإخوانيّات. أما إذا بدا أنّهم ينشرون في **شعر** أو **حوار** فإنّ سويّتهم الوطنيّة والقوميّة سرعان ما تصبح موضعَ تساؤل من دون أن يَجْرح ذلك مَلَكاتِهم الإبداعيّة. هكذا كانت الآداب رائزاً ومعياراً ووحدةَ قياس مما يُعتدّ به ويَحْظى بشبه إجماع في الأوسط الأدبيّة. وعليه فإنّ لهذه المجلة، التي احتفظتْ بقَطْعها الطويل والعريض كمجلة، فضلاً لا يُنْكر في حركة التحديث، وخصوصاً أنّها اتّبعتْ تقليد «نقد موادّ العدد الماضي،» وهو باب لم يكن له ما يضاهيه في الدوريّات الأخرى، وإنْ لم تَحْمل تلك القراءاتُ النقديّة فسحةً للحوار والنقاش. كان النقّاد، وجُلُّهم من مصر ومن الكتّاب الدائمين في المجلة، يَنْسجون أحكاماً ليس القصد منها فتح بابٍ للنقاش، بل من أجل توجيه كلمة «في الأثر المفقود،» كلمةٍ هي بمثابة حكمٍ شبهِ نهائيّ. ومع ذلك كان هذا الباب مقروءاً على نطاق واسع، وأَمْكن عَبْرَه تفصيلُ أو تطبيقُ نظرياتٍ نقديّة تَحفّ بالحداثة.

لم يكن ذلك الزمنُ زمنَ أداء مكافآت على الموادّ المنشورة، وكان النشرُ في حدّ ذاته هو المكافأةَ المعنويّة التي لا تدانيها مكافأةٌ دنيويّة أخرى، باستثناء موادّ قليلةٍ مدفوعةِ الأجر مثل تلك التي تُنشر تحت عنوان «قرأتُ العدد الماضي من الآداب» أو الرسائل الثقافيّة الوافدة من الخارج. وكان من بينها أحياناً رسالةٌ من بيروت إلى المجلة التي تَصْدر وتُطبع في عاصمة لبنان، وذلك تدليلاً على هوية عريضة للمجلة لا تَقْتصر على الانتساب إلى عاصمةٍ ما. ولم تكن شاعت حينذاك تزكيةُ الحواضر العربيّة لذاتها كعواصم ثقافيّة.

أما مناسبةُ هذا الحديث فهي ما ورد عن احتجاب وشيك لهذه المجلّة. وهو خبر مؤسف ويثير الأشجان بطبيعة الحال، ويندرج في ظاهرة احتجاب المجلاّت الثقافيّة تباعاً هنا وهناك. غير أنّ لـ الآداب، كما لغيرها، سماتٍ تخصُّها، تجعل من هذا الخبر غيرَ عاديّ. فإذا ارتبطَت المجلّةُ بدار النشر التي تَحْمل الاسمَ نفسه، كما بأُسْرة الدكتور سهيل إدريس، فهي اقترنَتْ كذلك بمشروعٍ لا محلّ فيه للمغامرات والطفرات، حتى رسخت القناعةُ بأنّ المجلّة، وقد ناهز عمرُها نحو نصف قرن، نشأتْ لتبقى وتستمرّ لا لتتأثّر بمزاجٍ أو «تحوُّلاتٍ» القائمين عليها. وصمدت المجلةُ فعلاً في ظروفٍ بالغةِ القسوة في أثناء حرب لبنان (١٩٧٥ ـ ١٩٨٢). ولعلّها أصدرتْ عدداً أو عددَيْن من الخارج، في بغداد إذا أسعفتني الذاكرة، وتأكيداً مرة أخرى على أنّها مجلة عربيّة بوسعها الطباعةُ والنشرُ في أيّة عاصمة من دون أن يتغيّر شيء من سمتها وحمولتها.

غير أنّ من الواضح الآن أنّ وراثة المجلة (انتقالَها إلى الابن الدكتور سماح) لم يُسْعفها في الحفاظ على الحوافز العميقة التي كانت تَدْفعها إلى الصدور برئاسة الأب الدكتور سهيل والأم (أمينة المجلة) عايدة مطرجي، وهذا ما أَدْخل قَدْراً من الاضطراب على هويّتها. ومقولة «التغيير مع الاستمراريّة،» التي تُستخدَمُ في عالم السياسة للدلالة على سلاسة الانتقال من عهدٍ أولَ إلى عهدٍ تالٍ حميم بسابقه، هذه المقولة لم تُفْلح في إثبات جدواها وجديّتها في حال المجلة. وكانت النتيجة أنّ الظُّلم لحق بالأب المؤسِّس والابنِ الوارث، فيما حاق بالمجلّة ظلمٌ أكبر، وفي زمنٍ تعرضتْ صيغةُ المجلة الأدبيّة الشهريّة لتحدّيات جسيمة، من أبرزها انفضاضُ القرّاء المواظبين إلى وسائل الإعلام العصريّ. وباتت الأخيرةُ وسيطاً فاعلاً في مواكبة الإبداع ونشره، من دون نجاحٍ يُذْكر في اجتذاب قرّاء جدد ممن لا يستهويهم بالضرورة مشروعٌ ثقافيّ قوميّ يطير بأجنحة فكرٍ وجوديّ وبطروحات «عالمثالثية.» ويمكن التقاطُ نصوص إبداعيّة ونقديّة في وسائل الإعلام الأخرى، مما يجعل العسرَ الماليَّ في مقام النتيجة لا السبب وراء القرار باحتجاب المجلّة. ولا شكّ أنّ قراراً تاريخياً كهذا يعود إلى الأب المؤسِّس والناشر المحترف الدكتور سهيل، الذي لم يُسْعفه انتماؤه إلى المدرسة الرمزيّة (في أداء المكافآت) في إطالة عمر المجلة إلى زمنٍ أطولَ من العمر الافتراضيّ لعطاء الكائن البشريّ. وبذلك فإنّه سوف يسجَّل لسهيل إدريس نجاحُه في إصدار هذه المجلة بانتظامٍ مدهش مع الحفاظ المعقول على مستواها. كما سيسجَّل له تمكُّنُه من التوصُّل إلى قناعة بضرورة إغلاقها، على ما في ذلك من عنت وألم، وذلك بعد أن استَنْفَدَتِ المجلّةُ جلّ أغراضها وأدّتْ رسالتَها خيرَ أداء.

في وداع الذكريات! ——— **فاروق يوسف (؟)**

لا أعتقد أنّ احتجاب مجلّة الآداب اللبنانيّة عن الصدور سيشكّل صدمةً لأحد. فهذه المجلة، التي طال أمدُ احتضارها عقوداً وليس سنوات، لم تعد منذ وقت طويل تشكّل علامةً في طريق التحديث الأدبيّ في شكل خاصّ والثقافيّ في شكل عامّ. ولم

يعد يَنْتظر صدورَها أحد. فالحياة الأدبيّة في الوطن العربيّ، بما واجهَتْ من تحدّيات وعاشت من مواجهات استفهاميّة وما أنتجَتْ من قيم فكريّة وجماليّة جديدة، كانت تجاوَزَتْ هذه المجلّة وتجاوَزَتْ قدرتَها القديمةَ على أن تكون حاضنةً للتحوُّلات الأدبيّة. ولو أنّ هذه المجلة اختارَتْ أن تتوقّف عن الصدور وهي في عزّ مكانتها ومجدها، أو على الأقلّ في موقع أفضل مما انتهَتْ إليه، لكانت ذكراها اليوم تمثّل لحظةً عاطفيّة يحنّ إليها الإنسانُ حنينَه إلى طفولته أو لحظاتِ عشقه الأول، كما هي الحال مع مجلتَيْ **حوار** و**شعر**. ولكنّها ظلّت حاضرةً في لحظة غيابها، وهي عاجزة عن إخفاء مظاهر أو ملامح أو علامات شيخوختها، الأمر الذي جعل أجيالاً من الأدباء العرب لا تنتبه إلى وجودها أو في أحسن الأحوال تَنْظر إلى هذا الوجود بإهمالٍ مشوبٍ باللامبالاة.

منذ زمن بعيد وصدورُ عدد جديد من مجلة الآداب لا يشكّل أيَّ حدث مفاجئ أو مطلوب أو جزءاً ممّا يجري في المشهد الثقافيّ العربيّ. بل صارت نُسَخُ أعدادها تتكدّس لدى الباعة من غير أن يشعروا بأنّ هناك خطأً ما في سلوك القرّاء. فهي لم تَعُدْ تلك النافذة التي يُطلّ منها الأدبُ العربيّ الحديث على القرّاء أو يُطلّ القارئُ من خلالها على آخر مستجدّات الحياة الأدبيّة في الوطن العربيّ، كما كان حالها في الخمسينيّات، ولذلك فإنّ الاطّلاع عليها أو تصفُّحَها كان أشبه بتصفُّح مجلّة قديمة مرّتْ أعوام وأعوام على صدورها. في معنى أنّ قراءتها، وهي مجلّة دوريّة ملزَمةٌ بمتابعة دورة الحياة الأدبيّة المعيشة، لا تعني سوى شيء واحد: الهروب من الحاضر في اتّجاه الماضي. ولم يكن صاحبُها الدكتور سهيل إدريس بكل شجاعته الأدبيّة، وهو الذي تبنّى في مرحلةٍ ما جزءاً من مشروع الحداثة الأدبيّة في الوطن العربيّ، في حجم الاعتراف بأنّ مجلّته تخلّفتْ عن الحياة الثقافيّة العربيّة شكلاً ومضموناً، وبأنّ «فتاته» الحسناء هرمتْ وانفضّ عنها المعجَبون. وربّما هو لم يكن يَرْغب في تصديق ذلك، ومَنْ لحق به كان كذلك، في إعلان النعي الذي أُلقيتْ أسبابُه على عاتق العجز الماليّ وغياب التمويل المناسب. وإذا ما كان البعض ينظر إلى احتجاب هذه المجلة عن الصدور انطلاقاً من كونه خسارةً عظيمةً، فإنّ مصدر هذا الإحساس شخصيّ أكثر مما هو ثقافيّ. ذلك لأنّ هذا البعض، وقد غلبه الحنينُ إلى عمره الذي مضى، لا يزال مسكوناً بالذكريات ولا يستطيع منها فكاكاً، أو أنّه يُشْبه إلى حدٍّ كبيرٍ المجلّةَ ذاتَها في عدم اتّساقه الأدبيّ مع الزمن، وإنكارِه التحوُّلاتِ التي شَهِدَها الأدبُ العربيّ.

إنّ الآداب، وهي مجلة رائدة في عالم الأدب العربيّ الحديث، ماتت قبل زمن طويل. وهناك اليوم أجيال من الأدباء العرب لم تَسْمع بها ولم تسعَ إليها لا على مستوى النشر ولا على مستوى القراءة. أما استمرارُها في الصدور فإنّه لا يفسّر الحاجةَ الثقافيّةَ إليها بقدر ما يُفْصح عن رغبة صاحبها النرجسية في التجمُّل إنكاراً لسلطة الزمن، وهي أقوى من كل إرادة لإنكارها. ولذلك فإنّ توقُّفها لا يشير، كما ظنّ البعضُ، إلى نهاية مرحلة. فالمرحلة الأدبيّة التي تمثّلها الآداب كانت انتهَتْ منذ ستينيّات القرن الماضي، ولم تبقَ العودةُ إليها نافعةً إلاّ على مستوى الدرس النقديّ التاريخيّ. وكان الشاعر الراحل **يوسف الخال** فطناً حين أنْقذ مجلتَه **شعر** من السقوط في فخّ معاداة الزمن، فاستأنف وجودَها الخياليّ من طريق إغلاقها، فظلّت فتاتُه حسناء إلى الأبد. ولكنْ في الوداع الأخير لـ الآداب لا يقف إلاّ الذين عاشوا في ماضيها متحسّرين على ماضيهم.

الأزمات إلى مزيد من التفاقم: مجلاّت عربيّة تحتجب وأخرى تحتضر... أو تقاوم ——— محمد الحجيري (لبنان)

أَطْلقتْ مجلةُ الآداب البيروتيّة نداءً من أجل إنقاذها، ودَعت القرّاءَ والمهتمّين بالشأن الثقافيّ إلى الاشتراك السنويّ في هذه المجلّة من أجل استمرارها وبقائها على قيد الحياة. والحال أنّ الآداب، وهي مجلة تُعْنى بالثقافة والإبداع، بات عمرُها نصفَ قرن، أو هي وُلدتْ في الخمسينيّات عندما كانت الصحافة الأدبيّة لا تزال ـ في أبرز وجوهها ـ صحافةَ قضايا كبرى، كالقوميّة والحريّة والتجريد والإبداع والتصدّي للتابوات. كان هناك مناخ لطرح السِّجال في القضايا الشائكة، سجال كان يُقرِّب الثقافةَ من المجتمع من خلال موضوعات فكريّة وأدبيّة وإيديولوجيّة (ماركسيّة ـ قوميّة ـ ليبراليّة ـ محليّة). مجلّة **شعر** كان لها أيضاً خطّها «الحداثويّ،» وهي احتجبَتْ وصارت رمزاً من رموز الحداثة الشعريّة العربيّة.

احتجبَتْ **شعر** إذاً، وبقيَتْ زميلتُها اللدود الآداب التي كان لها تيارُها الوجوديّ والعروبيّ والقوميّ. ولكنّ قارئ سيرة هذه المجلة، وما قدّمتْ من مواضيع وأثارت من قضايا خلال نصف قرن، يلاحظ أنّ هناك الآداب الأولى... والثانية. الآداب الأولى في الخمسينيّات والستينيّات هي عنوان لا يمكن تجاهله وتناسيه؛ كانت المحرِّضة والمحفِّزة على التجديد والداعية إلى التحديث. وضعتْ مناخاً للإبداع، مزاوِجةً بين الحداثة والعروبة. وهذه كانت ميزتَها الأولى.

الآداب الثانية مستمرّة في الصدور، لكنّها لم تستطع خلال مرحلة التسعينيّات أن تؤدّي دورها السابق ولم تستطع أن تعيد الروحَ إلى دبيب ثقافتها وأبوابها وزواياها. والأرجح أنّ المرحلة تغيّرتْ والواقع تغيّر. حاول سماح إدريس، رئيسُ التحرير

الجديد في المجلة، الانفتاحَ على أسماء جديدة من الكتّاب وعلى قضايا. لكنَّ المجلّة في بنيتها مازالت تتأثّر بالمناخ الإقليميّ والعروبيّ والنضاليّ الذي يحدّد لها سقفَها ويُبقيها في حيِّز المناخ «السياسيّ» وأغراضِه المحدودة.

والأبلغُ القولُ إنَّ النظرة إلى الآداب أصبحَتْ نظرةً إلى متحف للثقافة، متحفٍ لمرحلة زاخرة انتهَتْ. والآداب تَنْظر إلى نفسها من هذا الباب: فهي في الكثير من أعدادها خلال عقد التسعينيّات راحَتْ تعيد نشر نصوص «من الذاكرة،» الذاكرة التي أصبحتْ موروثَنا الإنشائيّ، أو من أقانيمنا اللفظيّة، يتسابق إليها الكتّابُ والصحافيُّون و«متفوِّهو» الآداب والميليشيات والعسكر والحكم وهم يحتفلون بالذاكرة ولا يشفيهم الاحتفال.

مجلة **الطريق** أيضاً تعيش ضروبَ الحنين والذاكرة. فمنذ عودتها إلى الصدور في بداية التسعينيّات اعتاد محمد دكروب، رئيسُ تحريرها، على إصدار أعداد خاصة عن كتّاب ومثقفين في زاوية «كتاب **الطريق**.» وهذه الزاوية شملَتِ الكثيرَ من الشخصيّات الفكريّة والأدبيّة المهمّة، ومنها شخصيّات مازالت على قيد الحياة، ومنها من الراحلين. وهذا النوع من الأعداد أقرب إلى التكريم، لأسماء لامعة في المجال الثقافيّ. وثمّة محاور أخرى في المجلّة تهتمّ بالقضايا القوميّة والماركسيّة. والحقّ أنَّ **الطريق**، وهي مجلّة فكريّة سياسيّة تَصْدر كلَّ شهرين موقتاً بفضل سعي رئيس تحريرها، مازالت تسيطر عليها اللّهجةُ اليساريّة و«النضاليّة» والحزبيّة في الشكل وحتى في المضمون. وهي تحاول مراجعةَ ما حصل لليسار بعد الانهيار السوفياتيّ الشيوعيّ. وبالتالي تبقى هذه المجلة أسيرةَ إرثها «النضاليّ» الذي يَحْفظ لها سماتها الإيديولوجيّة.

ويمكن القول إنَّه بالإمكان تأريخ الحركات الثقافيّة من خلال المجلاّت ودورها. ولكنْ هل نقول إنَّ المجلات اهتزّ مصيرُها وانتهى عيدُها، في لبنان وفي البلاد العربيّة؟ خلال السنوات الأخيرة لم تكن قليلةً المجلاتُ العربيّةُ التي اختفت. لكنَّ المجلات التي وُلدتْ لم تكن قليلة أيضاً. «استراحت» مجلّة **الناقد**؛ كتبت افتتاحيّتَها الأخيرة من دون أن تُكْمل مشوار المشاكسة. وتوقَّفَتْ **دراسات عربيّة** التي تَصْدر عن دار الطليعة. واحتجبَتْ **مواقف** من غير أن يُعْلَنَ عن موتها. ولا ندري إذا كانت بعضُ المجلات المصريّة المهمّة توقَّفتْ أيضاً (**فصول** مثلاً)، ذلك أنَّها لم تعد تصل إلى بيروت، فيما بدّلت **القاهرة** شكلَها ومضمونَها. على كل حال إنّ حياة المجلات الثقافيّة العربيّة في أحسن الأحوال غير مضمونة، فالكثير منها يَصْدر في شكل غير منتظم، والسببُ ماديّ بامتياز. وثمّة فئة من المجلات تدبح [تدبِّج؟] فيها الدولُ إرهاصاتها وملامحها، وهذا النمط أصبح ظاهرةً واضحة في العالم العربيّ. وهناك فئة من المجلاّت الحزبيّة تهتمّ بقضايا لا يبالي بها معظمُ المثقفين والمفكّرين العرب اليوم.

وبين تراجُع مجلات أو احتضار بعضها وموت أخرى، عادت **الكرمل** إلى الصدور، وعادت إلى جزء من بلادها (رام اللّه) تُطلّ منها على البلدة التي تَحْمل اسمَها، كما ورد في مفتتح العدد ٥٠. الطموح الذي أرادته **الكرمل** هو أن تكون من خلاله ورشة عمل ثقافيّة لتبادُلِ الحوار. وهذه المجلّة تجد مطرحَها الملائم في النسيج الثقافيّ النخبويّ.

عادت **الكرمل**، وكانت انطلقَتْ قبلها **أبواب**، وهي مجلة أتَتْ بعدما احتجبَتْ **مواقف** عن الصدور. و**أبواب**، بحسب أندره كسبار (مدير دار الساقي)، تتمحور مواضيعُها حول المسائل الاجتماعيّة والثقافيّة. وكما يدلّ اسمُها، فهي مفتوحة على كل الاتّجاهات والميول التي تَمْلك في ما بينها قاسماً واحداً، وهو رفض الفكر الإلغائيّ لما عداه. المجلة لا تَمْلك خطاً أو برنامجاً سياسيّاً تقدِّمه، فهي في كل عدد تقدِّم نفسَها بصُوَرٍ لا بافتتاحية. والاستثناء الذي حمله العددُ الثاني هو الاستهلال الذي كُتب لذلك العدد، وكان عنوانه «هذه ليست افتتاحية.» **أبواب**، على ما يبدو من خلال مواضيعها، تتوخّى لغةَ ما بعد الحداثة.

يبقى القول إنَّه في وسع القارئ، أو مَنْ يتتبَّع المجلات الثقافيّة الشهريّة والدوريّة في السنوات الأخيرة، أن يَطْرح سؤالاً، هو مجرَّد سؤال: هل بقي من المجلات ما يشكِّل منبراً للثقافة الحرّة؟ أو هل تستطيع هذه المجلات أن تَرْفع الثقافةَ من القاع أو تنقلها من حلقة إلى مساحة تفاعلٍ لخلق المناخ الذي تتنفَّس منه النصوصُ، ومنه تتوالد الأفكار؟

ردّ رئيس تحرير الآداب على استفتاء «الحياة»: أيّ ثقافة جديدة تبشّرون بها؟

بَعَثَ رئيسُ تحرير الآداب إلى الزميلة الحياة ردّاً على استفتائها، فنَشَرَتْه في ١٨ شباط/فبراير، بعد أنْ حذفتْ منه بعضَ العبارات. الآداب تعيد نشرَ الردّ، وتضع الجملَ المحذوفةَ بالبنط الأسود.

جريدة الحياة ـ لندن (١٨ آذار/مارس ٢٠٠١)

هل العدد الجديد من مجلة الآداب، الخاصّ بالسينما والڤيديو والتجهيز في لبنان، طليعيٌّ وما بعد حداثيّ ولبنانيٌّ حقاً، أم ذلك شيء مزعوم كما توحي بذلك مزدوجاتُ الأستاذ عبده وازن في مقاله المنشور في جريدة **الحياة** بتاريخ ١١ شباط ٢٠٠١؟ أكان العددُ الجديد قَفْزَةً حقاً، أم «قفزةً» (بين مزدوجين) غيرَ ملائمةٍ لنهج الآداب؟ وإذا كان الأستاذ عبده يريد من الآداب أن تتطوّر حقاً، فلماذا حَكَمَ مسبَّقاً ـ عبر سؤالٍ بلاغيٍّ يوحي للقراء بأنّه يعرف إجابتَه أصلاً ـ على مثلِ هذه الخَطوة بالفشل لكونها «مصطنعةً» و«مفتَعَلةً؟»

عام ١٩٩٤ كرّم اتحادُ الكتّاب العرب مجلةَ الآداب في عمّان. فخصّص الأستاذ عبده صفحة كاملةً لهذا الحدث. لكنّه تجاهَلَ كُلَّ ما له علاقةٌ بي في ندوات النقاش التي استغرقتْ عدةَ أيام: فلم يَنْشر نصَّ مداخلتي، ولا آراءَ المثقفين المنتدين (وعلى رأسهم مؤنس الرزّاز) في الترحيب بالدوْر الحاليّ الذي تقوم به المجلةُ في محاربة التطبيع ونشر الأدب الجيّد. وأغْفل الأستاذ وازن نقدي لسكوت مجلة الآداب في الستينيّات عن القمع الذي طال مثقفين مصريّين في الحقبة الناصريّة، واستيائي من تزمُّت صاحبها د. سهيل إدريس حيال بعض قصائد النثر؛ وهما موقفان عبَّرتُ عنهما صراحةً في كلمتي المنشورة في الآداب (عدد ٨/٩، عام ١٩٩٤). وقد كتبتُ للأستاذ وازن حينها رسالةً مازلتُ أحتفظ بنسخة عنها، أُورد منها السطور التالية:

«لماذا تتجاهل هذا الموقفَ الجديدَ وتُصرّ على حصر مجلة الآداب بموقف معيَّن، رغم أنكَ ما فتِئتَ تطالبها بمزيد من التجديد؟ أخشى أن تكون مطالبتُك بالتجديد حجّةً لمهاجمتها ماضياً وحاضراً، وإلاّ لكان بإمكانك أن تنوّه إلى بعض التغيير في سياسة الآداب الحالية من قصيدة النثر.... وباختصار، أرى في كلمتكَ [المنشورة في **الحياة** في ٩٤/٨/١٠] ما يشي بأنك تحنِّط الآداب عند حدٍّ زمنيّ معيَّن؛ تُمَوْمِيُها، وكأنّك تقول للناس: الآداب يعطيها العافية، كانت .O.K رغم اعتراضنا عليها، وأما الآن... فلا كلمة عنها، سلباً ولا إيجاباً؛ فقد ماتت.»

وبالعودة إلى ثلاثة أرباع الصفحة التي خصّصها الأستاذ عبده مؤخّراً لأزمة مجلة الآداب **نلاحظ الموقفَ المسبَّقَ عينَه الذي اتّخذه عام ٩٤. فهو اليوم أيضاً يَحْكم سلفاً على فشل** الآداب، **بل فَشَلِ أيّ مشروع ثقافيّ ذي رؤية قوميّة نضاليّة يساريّة، في التطوُّر. إنّه، بكلمة، يَخْترع شيطاناً اسمُه مجلة** الآداب، **بغضّ النظر عن مرحلتها السابقة أو مرحلتها اللاحقة، لكي يَسْهل عليه صبُّ هجومه على كل الخيارات الإبداعيّة والقوميّة والحضاريّة التي ناضلتْ هذه المجلة طوال ٤٩ عاماً من أجل إعلائها وتطويرها. فما دمنا لم نَشْتم القوميّة، ولم نضع الأمةَ العربيّةَ بين مزدوجين (كما فَعَلَ هو)؛ ومادمنا لم نَكْتب اسمَ عبد الناصر على قفا حذائنا (كما فعل بعضُ الصحفيّين في شبابهم)، ولم نُهلِّل لحصار المدنيّين العراقيّين أو لقتل آلاف الجنود المستسلمين أمام جحافل القوات الأميركيّة الغازية (كما فعل أصحابُ بعض الجرائد)؛ أقول: مادمنا لم نفعل ذلك، فنحن لم نتطوّر. طبعاً، الأستاذ عبده لم يقلْ هذا حَرْفياً، ولكنّه سمّى التطوُّرَ المرغوبَ: «نظرية قصيدة النثر، والنصّ المفتوح، والكتابة السوريالية، والأدب الما بعد حداثيّ [!]»**

بربِّك، يا صديقي عبده، أتَجْزم أنّ المجلة لم تَنْشر في حياتها كتابةً ما بعد حداثيّة، أو سوريالية؟ وهل تقرأ قصصَ الآداب المنشورة في كلِّ عددٍ تقريباً؟ ولكنْ، ما حيلتُنا حين تَعْثر حقاً على شيءٍ من هذه الما بعد حداثية، في العدد الأخير على الأقلّ [٢/١، ٢٠٠١]، ثم تنفيه باعتبارك إيّاه «مفتَعَلاً» و«مصطَنَعاً» بالقياس إلى «نهج» المجلّة الأصوليّ (كما سمَّيتَه)؟ تُرى، مَنْ يَفْتعل ويَصْطنع هنا: الآداب أم أنتَ؟ ومَنْ يَرْغب في أن تبقى هذه المجلّة جزءاً من الماضي حتى لو سَعَتْ عملياً إلى تجاوزه: أنا أم أنتَ؟

أنتقل الآن إلى المقالات الأخرى التي تناولها الزملاء محمد الحجيري، ومحمود الريماوي، و«فاروق يوسف»، لأُعلن أسفي للمستوى غير الموضوعيّ ولا التحليليّ الذي بَلَغه أكثرُهم. واسمحوا لي أن أُذيع للقرّاء أنّ الأستاذ عبده كان قد اتّصل بي قبل حوالى شهرَيْن ليُعْلمني برغبته في إعداد صفحةٍ كاملة عن أزمة مجلة الآداب، وطلَبَ منّي أن أزوِّده بأسماءِ مَنْ أعتبرهم أنا أهلاً للحديث عن هذا الموضوع. فقدَّمتُ إليه قائمةً بأسماء حوالى عشرين كاتباً من مختلف الأقطار العربيّة، لأُفاجأ بأنّه لم يتّصل بأيٍّ منهم (أين الانفتاح يا صاحب الدعوة إلى «النصّ المفتوح؟») بل آثر أن يأتي بمن شاء، رغم أنّ عدداً ممّن استكتَبَهم لا معرفةَ له البتّةَ بحاضر مجلة الآداب وربّما لم يرها منذ أعوام! **وهكذا غاب عن الاستفتاء صلاح عيسى ورجاء النقاش وإلياس خوري وفيصل درّاج ونبيل سليمان وعبد الرحمن منيف وسلمى الخضرا الجيوسي وغيرُهم**... مع احترامي الكامل والصادق للأستاذ محمود الريماوي.

ونتيجةً لاختيار الزميل عبده وازن المتعسّف جاءت صفحة **الحياة** مليئةً بالأحكام المتشنّجة، وبعيدةً عن تناول الأزمة الحقيقيّة التي تواجه دُورَ النشر اللبنانيّة وقطاعَ المجلات الثقافيّة بالتحديد. فقد كان أجدرَ بالزملاء وازن والحجيري والريماوي و«يوسف» أن يبحثوا في المآل المتردّي الذي صارت إليه الطبقةُ الوسطى بأكملها في لبنان بسبب الحرب، وبسبب تسلُّط تحالُفِ الميليشيات ورأس المال المضارب على مقدَّرات البلاد. ومن بين شرائح هذه الطبقة: فئةُ الناشرين التي تنتمي إليها أسرةُ مجلة الآداب ودار الآداب. وزادَ الطينَ بلّةً أنّ الأسواق العراقيّة والجزائريّة والليبيّة والسودانيّة توقفتْ توقفاً نهائيّاً أو شبه نهائيٍّ عن طلب الكتب والمجلات منذ بداية تسعينيّات القرن الماضي؛ وهو ما كان يَجْدر بأولئك الزملاء الأربعة الإشارةُ إليه لو كانوا يريدون الإحاطةَ بجوانب الموضوع كافةً.

وكان أجدى بالزملاء أن يتحدّثوا عن انحسار أهمية الثقافة والتعليم رافعةً في سُلّم الحراك الاجتماعيّ العربيّ، وما رافقَ ذلك من نموّ قيم الربح السريع والاستهلاك، لا أن يَحْصروا أسبابَ الأزمة في مضمون مجلة الآداب، علماً أنّ هذه المجلة سجّلتْ ثانيَ أعلى معدّل للبيع في معرض النادي الثقافيّ العربيّ في بيروت عام ١٩٩٩ من بين كلّ المجلات، وسجّلتْ ثالثَ أعلى معدّل في المعرض الذي تلاه عام ٢٠٠٠ (على رغم أنّ كميّة الأعداد المبيعة هزيلةٌ قياساً إلى كلفة المجلة). وهذا الأمر يشير إلى أنّ الأزمة تنوء بثقلٍ أعظم على مجلات ثقافيّة أخرى، ولكنّ هذه المجلات تتدبّر العجزَ الماليّ بطرقٍ متعدّدة كما يبدو ليس بينَها الإعلاناتُ التجاريّة ولا الاشتراكاتُ الإفراديّة أو الجامعيّة.

وكان أجدى بالزملاء الأربعة أن يتحدّثوا عن أثر «المَلاَحق» الثقافيّة (وقد عَرَض ذلك سريعاً الأستاذ الريماوي)، ودَوْر مجلات وزارات الإعلام العربيّة التي أغرقت المثقفين بمكافآت ماليةٍ لا قِبَلَ لمجلّةٍ مستقلّةٍ كـ الآداب في تحمّلها، فانكفأوا عنها، وَهُمْ إلى حدٍّ كبيرٍ معذورون في ذلك بسبب الضائقة المالية التي يعانيها أكثرُهم.

وكان أجدى بالزملاء الأربعة أن يتناولوا قضيةَ الرقابات العربيّة، التي تَحُول اليومَ دون وصول مجلة الآداب بانتظام إلى عدد من الأقطار العربيّة. وأنا أَعْجب تحديداً كيف يتحدّث الأستاذ عبده وازن عن الانفتاح والحداثة (وهو الذي مُنع كتابُه **حديقة الحواس** في لبنان نفسه) من غير أن يرى أنّ العائق الأساسَ دون الوصول إلى هذين الهدفيْن هو وجود أنظمة الكبت والقهر والوصاية في معظم البلدان العربيّة. والحقّ أنّ الرقابات تَحُول دون وصول مجلتنا «التقليديّة» و«الأصوليّة» و«المحافِظة» (بكلمات وازن)، والمتأثّرة بالمناخ «العروبيّ والنضاليّ» (بحسب تعبير محمد الحجيري)؛ فكيف كانت تلك الرقاباتُ ستتعامل مع مجلتنا لو كانت مجلّةَ نصٍّ مفتوح أو سورياليّ يا عزيزي عبده؟ أم تريدنا أن ننفتح على كل شيء إلاّ على التصدّي للقمع السياسيّ والبوليسيّ وللاحتلال الإسرائيليّ والاستعمار الغربيّ؟

وكان خليقاً بالزملاء أيضاً أن يتناولوا مسائلَ ماليّة تحدّ من مسألة توزيع مجلة الآداب على نطاقٍ واسع. ومنها على سبيل المثال: غلاء تكاليف الشحن والبريد (فمثلاً يبلغ ثمنُ إرسال نسخة واحدة من مجلّتنا إلى الولايات المتحدة بالبريد المضمون أكثرَ من خمسة دولارات، وهو ما يتجاوز سعرَ المجلة نفسها!). ومنها أيضاً غلاءُ المجلة بالنسبة إلى طاقة القارئ الشرائيّة في العالم العربيّ ؛ وهو أمرٌ لا يمكن تفاديه لأنّ مجلة الآداب مجلة مستقلّة، أيْ غير مدعومة من الأنظمة والأحزاب والمنظمات غير الحكوميّة.

وكان حقيقاً بالزملاء الأربعة أن يتحدّثوا عن اهتمامات الشباب الجديدة كما هي في الواقع، لا كما يتوهّمون أو يرغبون. فالشباب العربيّ، يا عزيزي عبده، ليس في ظني شديدَ الشغف بالنصّ المفتوح أو السورياليّ (اسألْ دار الآداب أو أيَّ دارٍ أخرى عن أكثر كتبها مبيعاً!)، بل يبتعد أكثرَ فأكثرَ عن اللُّغة العربيّة والأدب العربيّ برمّته، وينحو أكثرَ فأكثرَ باتجاه التسلية والرفاهية أو باتجاه لغاتٍ أخرى غيرِ العربيّة في أحسن الأحوال. وليت الزملاء الأربعة تحدّثوا عن نموّ الأصوليّة الدينيّة في الوطن العربيّ، وهي نزعةٌ أضعفت اهتمامَ الشباب العربيّ بالثقافة الحديثة وبالمجلات الثقافيّة أيضاً.

لقد كان أجدر بالزملاء الأربعة أن يُبادروا، على الأقلّ، إلى قراءة مقالي في العدد الأخير «المفاجأة» (بحسب الزميل وازن). وفيه تحدثتُ بشيءٍ من التفصيل عن هذه المسائل كافةً، دون أن أُغفل الأثرَ السلبيَّ للعامل السياسيّ و«النضالويّ» على وضع الآداب الماديّ الراهن. وكان أجدرَ بهم، أخيراً، أن يقدّموا آراءهم واقتراحاتهم في كيفية مساعدة الآداب على النهوض من عثرتها، بدلاً من أن يهلّل بعضُهم لموتها ويَحْكم بعضُهم الآخر على تجديدها بـ «الاصطناع والافتعال.» ولكنْ ماذا قرأنا عوضاً عن ذلك؟

لقد طالَعَنا الأستاذ «فاروق يوسف» (**أهذا اسم حقيقيّ أم مستعار؟**) بمقال يَجْزم فيه، مرةً بعد مرة، أنّ الآداب ماتت منذ زمن طويل (تُرى لِمَ لَمْ يَنْعِها قبل الآن وكفى نفسَه مؤونةَ نبش قبرها؟). ويعود، مرةً بعد مرة، إلى التأكيد على هذه الفكرة العبقريّة، وبتشفٍّ يَحْسده عليه سفّاحو الثقافة، متوهّماً أنّ تأكيده اللفظيّ على موتها منذ زمن هو إثباتٌ لموتها الفعليّ. وبلغتْ به الطرافةُ أن آثر لو أنّ أصحاب الآداب أنقذوها... بإغلاقها، لتبقى حسناء إلى الأبد. لماذا؟ لمجرّدِ أنّ مُلهِمَه العظيم يوسف الخال فعل ذلك بحسنائه **شعر**. ولم يتوقّف السيد يوسف، ولو للحظة، ليحاسِبَ نفسَه، وهو الحداثيّ بامتياز، على رجعيّته المفرطة التي تجلّت بتأكيده أنّ المرأة لا تكون نافعةً إلاّ حين تكون حسناءَ تنتمي إلى «لحظات العشق الأوّل.» وكأنّ علامات الشيخوخة التي تعتري المرأةَ لا بدّ أن تُبْطِلَ فحولتَه التي تهيم بها كلُّ حسناوات الأرض.

وطالَعَنا الأستاذ محمد الحجيري بـ «تحقيق» حاول في مقدّمته أن يكون موضوعيّاً. وما لبث أن عاب على مجلة الآداب تأثُّرَها «بالمناخ الإقليميّ والعروبيّ والنضاليّ الذي يحدّد لها سقفَها ويبقيها في حيِّز المناخ السياسيّ وأغراضه المحدودة.» ولكنّ الزميل الحجيري لم يُخْبرْنا، وهو الذي يكتب في جريدتين سياسيتين حتى العظم (ملحق **النهار**، و**الحياة**)، كيف لا تتأثّر مجلةٌ (أو إنسان) بالسياسة، وكيف حدّدت السياسةُ سقفَ الآداب: أبتخصيصها ملفّاتٍ أو أعداداً كاملةً عن سارتر، وإدوارد سعيد، وتشومسكي، وفنكلستين، والترجمة، وحوار الحضارات، ونقد الحداثة؟ أم باتخاذ هيئة تحريرها مواقفَ تحليليةً (لا غوغائية) من اتفاقيات أوسلو وكامب دايڤيد ووادي عربة و...؟ ترى، أينطبق رأيُه هنا على الزميل إلياس خوري، رئيس تحرير ملحق **النهار**، حيث يكتب الزميل الحجيري؟

ثم إنّ الحجيري يتناسى، في معرض مدحه لزميلتنا مجلة **أبواب**، أنّ الصُّور التي تصدِّر بها أعدادَها لا تَمْنع من أن يَكْتب فيها ـ وبشكلٍ منتظم أحياناً ـ أكثرُ الكتّاب العرب عداءً للشيوعيّة و«القومية» و«الإرهاب» الفلسطينيّ (**وضّاح شرارة، حازم صاغيّة**). **بل سبق أن تصدّر أحدَ أعدادِها، إنْ لم تخنّي الذاكرة، مقالٌ لكنعان مكيّة (أو المدعوّ سمير الخليل) المعروف بتأييده للقصف الأميركيّ للعراق، بل وبدعوته بوش وشوارزكوف إلى احتلال بغداد!** أوَتكون زميلتُنا **أبواب**، بعد هذا، محصّنةً من الإيديولوجيا، يا عزيزي محمد؟ أم أنّها ـ شأنها شأن مجلة الآداب ـ إيديولوجيّةٌ هي الأخرى رغم ادّعائها وادّعائكَ العكسَ؟ وأيّاً يكن الأمر، فإنّ من يختار «أنْ لا يَمْلك خطاً أو برنامجاً سياسياً» يقدِّمه في زمنٍ يُذبَحُ فيه العربُ من الوريد إلى الوريد لا يُمْكن أن يكون في منأًى عن السياسة؛ بل ربما كان في الحقيقة يتبنّى أقصى البرامج السياسيّة تطرُّفاً.

وأما الأستاذ محمود الريماوي فهو أكثر الكتّاب الأربعة اطّلاعاً على المجلة، وإنْ في مرحلتها الأولى على الأقلّ (وإلاّ لكان ناقَشَ بعضَ أعدادها الأخيرة التي يُجْمع الباحثون على جدّيتها وفائدتها). ولكنْ كان يُنتظر من الأستاذ محمود، وهو أكثر الزملاء الأربعة حرصاً على المجلة، أن يقدِّم اقتراحاتٍ عمليةً لإنقاذ الآداب ذاتِ المستوى «المعقول» كما يرى هو نفسُه، بدلاً من أن يَرْفع قبّعتَه إجلالاً للراحلة الكبيرة!

وفي الختام أقول إنّ ثمة ما يجمع الكتّابَ الأربعة على اختلاف آرائهم، وهو النعي. فأيّ ثقافة جديدة يبشِّر بها هذا النعي؟

سماح إدريس

«أبواب»: رداً على ردّ الآداب

جريدة الحياة ـ لندن (١ آذار/ مارس ٢٠٠١)

يبقى النقّاد الأربعة الذين ردّ عليهم السيّد سماح إدريس أبلغَ منا في الدفاع عن أنفسهم. إلاّ أنّ ما يعنينا مباشرةً فقرةٌ أقْحمها في مقالته، تخلو من كلّ ما تعارفتْ عليه الأخلاقُ المهنيّة و«الزماليّة،» كي لا نقول الديموقراطيّة. فهو يقول (**الحياة**، ٢٠٠١/٢/١٨، ص ١٦):

«ثم إنّ الحجيري يتناسى، في معرض مدحه لزميلتنا مجلة **أبواب**، أنّ الصور التي تُصدِّر بها أعدادَها لا تَمْنع من أن يكتب فيها ـ وفي شكل منظّم [منتظم] أحياناً ـ أكثرُ الكتّاب العرب عداءً للشيوعيّة و'القوميّة' و' الإرهاب ' الفلسطينيّ ...

أوتكون زميلتُنا **أبواب**، بعد هذا، مُحصّنةً من الإيديولوجيا، يا عزيزي محمد؟ أم أنّها ـ شأنها شأن مجلة الآداب ـ ايديولوجيّة هي الأخرى رغم ادّعائها وادّعائك العكسَ؟ وأياً يكن الأمر، فإنّ مَنْ يختار ' أنْ لا يملك خطاً أو برنامجاً سياسياً ' يقدّمه في زمن يُذبح فيه العربُ من الوريد إلى الوريد لا يُمْكن أن يكون في منأى عن السياسة؛ بل ربما كان في الحقيقة يتبنّى أقصى البرامج السياسيّة تطرُّفاً.»

وهنا لا نريد الدخول في سجال يدور على الإيديولوجية واللاإيديولوجية. فنحن نزعم أنّ صفحاتنا مفتوحة للآراء كلّها شرط أن يتوافر فيها مستوى فنيّ إبداعيّ و/أو فكريّ ما، وألاّ تحضّ على كراهية أو أذى ينزل [ينزلان] بشعب أو دين أو جنس أو عِرْق. ما نريد أن نسأل فيه السيد إدريس هو: من هم «أكثر الكتّاب العرب عداءً للشيوعيّة و' القوميّة ' و 'الإرهاب الفلسطينيّ '» الذين يكتبون في **أبواب**، «في شكل منظّم [منتظم] أحياناً؟» وكيف يجيز السيد سماح لنفسه إطلاق هذه النعوت غير السموحة في تصنيف الكتّاب، وسط هذا الإجماع الثقافيّ العربيّ على ضرورة الديموقراطيّة واحترام الرأي الآخر كائناً ما كان؟

فالمؤسف أنّ الناقد ـ الزميل لم يختلفْ عن نقّاد آخرين اتّهموا **أبواب**، من مواقع أخرى، بأنّ كتّابها شيوعيُّون أو فوضويُّون أو علمانيُّون أو ليبراليُّون. فكأنّ القاسم المشترك بين هؤلاء النقّاد عدمُ قراءة النصوص التي تغاير رأيَ الناقد وذوقَه، والمسارعةُ إلى رميها بالتصنيف.

كان الأجدى بالسيد إدريس عدم الوقوع في ثقافة التصنيف الاتّهامي التي برعتْ بها قوى لا تمتّ إلى الثقافة والنشر والزمالة بصلة، خصوصاً أنّ المجلاّت كلّها تعاني أزماتٍ تستدعي التضافر والتعاطف والوقوف معاً.

ولا بأس بالاشارة إلى أنّ **أبواب** ممنوعة في غير بلد عربيّ. وقبل فترة قصيرة مُنعتْ في معرضيْ مصر والكويت، بالضبط لأنّها تثير بعضَ المسكوت عنه في التركيب الاجتماعيّ والثقافيّ العربيّ. ولا نبالغ إذا قلنا إنّ رحيل الآداب يبقى فعلاً خسارة لأنّها صوت وتقليد ينبغي الحرص عليهما، مهما اختلفت آراء القرّاء.

وكان من المستحسن ألاّ يبادر السيد إدريس إلى تسييس الموت، بعد تسييس الحياة، فيمنعنا من الحزن على زميلة عزيزة.

هيئة تحرير «أبواب»

تعليق رئيس تحرير الآداب على هيئة تحرير «أبواب»: توضيح.. ودعوة

تقول الزميلة **أبواب** إنّني «لم أراعِ الأخلاق المهنيّة والزماليّة كي لا نقول الديموقراطيّة» في ردّي على بعض منتقدي مجلة الآداب في الملفّ الذي أعدّه الزميل عبده وازن بعد النداء الذي وجّهتْه مجلتُنا لدعمها في أزمتها الراهنة. ولكنْ ما الضرر في أن أقول إنّ مجلتيْنا كلتيْهما إيديولوجيّتان، رغم ادّعاء الزميل محمد الحجيري وادّعاءِ **أبواب** العكسَ؟ فهل تنفي **أبواب** هذه «التهمة،» أم تظنّ أنّ «توافر الآراء» كافٍ لجعلِ أيٍّ كان غيرَ إيديولوجيّ؟

أما مَنْ أقصد بأكثر الكتّاب العرب عداءً للشيوعيّة و«القوميّة» و«الإرهاب الفلسطينيّ» فأنا أحيلهم على جريدة **الحياة** التي شطبتْ أكثر من ١٣ سطراً من ردّي، وضِمنها أسماءُ بعض أولئك الكتّاب العرب. وأنا أعيد ذِكْرَ الأسماء الآن، متمنّياً أن تنشرها **الحياة** هذه المرّة [وقد فعلتْ مشكورةً (س.إ.)]. فقد ذكرتُ الأساتذة: كنعان مكية (الملقّب بسمير الخليل) وحازم صاغيّة ووضّاح شرارة. وواحد من هؤلاء الزملاء، صاحب كتاب **جمهورية الخوف**، معروفٌ بتأييده للقصف الأميركيّ للعراق، بل وحثّه الولاياتِ المتحدةَ على احتلال بغداد (أتُنْكر **أبواب** ذلك وهو أمرٌ موثّق؟). وزميل آخر نعتَ المقاومة الوطنيّة اللبنانيّة بـ «الإرهاب.» وثالثٌ عبّر عن فرحه وشماتته لاعتقال فرنسا الدكتور جورج حبش عام ١٩٩٢. وهذا لا يعني أنّني ضد أن يعبّر أيٌّ كان عن أيّ رأيٍ كان، حتى لو لم أحترمه. وبالمناسبة، لي كاملُ الحقّ، وبمقتضى الديموقراطيّة نفسِها التي يتغنّى بها البعضُ دون فهمها على حقيقتها، في ألاّ أحترم كلَّ الآراء الأخرى «كائناً ما كانت» (أتحترم **أبواب** آراءَ هتلر وصدّام حسين وشارون مثلاً؟) وهو لا يعني أيضاً أنّني لا أكنّ لـ **أبواب** الاحترام، بل أعتبرها زميلةً كريمةً تُغْني الثقافةَ والفكرَ وحركةَ الترجمة. ولم أصنّفْها بأيّ صفة، بل إنّ بعضَ كتّابها **هم** مَنْ صنّفوا أنفسَهم بمواقفهم الاتّهاميّة. كما أنّني لا أَطْلب من أحد ـ لا من **أبواب** ولا من غيرها ـ أن «يُجيز» لي أن «أُطلق النعوت غير السموحة» (مَنْ صنّف الزميلة **أبواب** ضميراً لي؟)

وقبل الختام أسأل هيئة تحرير **أبواب**، التي أَحْرص فعلاً على صداقتها وبقائها وتخطّيها كلَّ المصاعب، عمّن يَطْعن في روح الزمالة الأدبيّة: أنا الذي لم أفعل سوى أن انتقدتُ بعضَ كتّابها (الذين شطبتِ **الحياة** أسماءهم)، أم هي التي تُعلن على رؤوس الأشهاد أنّ «تسييسي للحياة سيمنعها من الحزن» على الآداب؟ ألمجرد «التسييس» (الذي تترفّع عنه **أبواب** أصلاً بحسب قولها) اضمحلتْ روحُ الزمالة وغاب «الحزنُ» أو سيغيب على «زميلة عزيزة»؟ وفي هذا الصدد، ما معنى تحريض النقّاد الأربعة على الردّ عليّ كما جاء في مقدّمة ردّ **أبواب**؟

ولا أودّ أن أنهي هذه الكلمة من غير أن أمدّ يدي إلى جميع المنابر الثقافيّة، ومن ضمنها **أبواب** التي أقرأها دائماً وبتمعّن (بعكس ادّعاء هيئة تحريرها)، إلى التكاتف من أجل الاستمرار على قيد الحياة... وإنْ كان ذلك لا يعني أن لا يكون لي موقفٌ من بعض الكتّاب الذين تقول **أبواب** إنّهم لا «يحضّون على كراهية أو أذى تنزل [ينزلان] بشعب...» وأتمنّى على **أبواب** وعلى كل المنابر الثقافيّة الرصينة في هذه الأمّة (وما أقلّها) أن تتخطّى «الحزنَ على زميلة عزيزة» قد تغيب، إلى السعي الحثيث للحؤول دون هذا الغياب، أيّاً كان بُعْدُ رئيس تحرير هذه «الزميلة العزيزة» عن «السماح.» وندعوها، من على منبر جريدة **الحياة**، إلى لقاء ثقافيّ كبير نحدّد موعدَه وخطواتِه معاً ـ وعلى إختلاف ايديولوجيّاتنا ـ من أجل إحقاق حقوق المجلات الثقافيّة اللبنانيّة التي تواجَه بالتهميش والإغفال من لدن وزارة الثقافة اللبنانيّة، سواء حين تكون بيروت عاصمة للثقافة العربيّة (١٩٩٩) أو حين تصير عاصمةً للفرنكفونيّة (٢٠٠١).

سماح إدريس

عن مجلة الآداب

ملحق النهار ـ بيروت (٣ آذار / مارس ٢٠٠١)

الغريب أنّ إعلان مجلة الآداب عن مواجهتها عجزاً ماليّاً وأزمةَ توزيع أثار سجالاً حول المجلة نفسها، بدل أن يَخْلق مناخاً من التضامن الثقافيّ في العالم العربيّ. فالحقّ أنّ احتمال موتِ مجلةٍ حملتْ في صفحاتها جزءاً أساسياً من تاريخ الثقافة العربيّة الحديثة يثير القلقَ والحزن، ويدعو إلى عمل جماعيّ من أجل الإسهام في الإنقاذ.

غير أنّ الصورة لم تكن هكذا، للأسف. وهذا ما عكسه «الحوار» الذي دار على صفحات الجرائد العربيّة المختلفة. فبدل أن يكون السؤال هو كيف يتمّ تجاوز الأزمة، عبر مساعدة الآداب على الصمود والاستمرار، جاء مَنْ يفرك يديه فرحاً، أو مَنْ يَشْمت، أو مَنْ يُعْلن ليس فقط موتَ الآداب بل موتَ الفكرة العربيّة نفسها.

قبل أيّ سؤال، وقبل الدخول في مناقشة المسألة، يجب أن لا ننسى أمراً أساسيّاً، هو أنّ الثقافة تراكم، وأنّ انهيار المؤسّسات الثقافيّة لا يدلّ إلاّ على فقدان الحسّ التاريخيّ في الثقافة العربيّة الحديثة؛ وهذا يثير القلق لا الفرح. في هذا المعنى، فإنّ دعم استمرار الآداب وتطوُّرها ليس مهمةَ رئيسِ تحريرها سماح إدريس وحده بل هو واجب جميع المثقفين العرب، إلى أيّ تيّار سياسيّ أو ثقافيّ انتمَوْا.

نعود الآن إلى المسائل التي تثيرها أزمةُ الآداب، من أجل مناقشتها في شكل موضوعيّ، كي لا تختلط الأمورُ بعضُها ببعض، ويهيمنَ خطابٌ تقليديّ يتّخذ أسماءَ الحداثة، بينما هو في الواقع مجرّد تابعٍ صغيرٍ لفكرٍ كولونياليّ، استشراقيّ، يعتقد أنّه عبر تقليده الفكرَ اليمينيّ الغربيّ، وانبطاحِه أمامه، يصير حديثاً وجزءاً من العصر.

أزمة الآداب، تطرح سؤالَيْن مترابطَيْن:

السؤال **الأول**، هو عن غياب المجلات الثقافيّة أو تهميشها في لبنان والعالم العربيّ. لبنان الذي أدّى دوراً متميّزاً في الخمسينيّات والستينيّات والسبعينيّات، عبر غنى مجلاته الثقافيّة واتجاهاتها المتعدّدة: **الطريق**، الآداب، **الثقافة الوطنيّة**، **شعر**، **أدب**، **حوار**، **مواقف**، **الكرمل**، **الناقد**... يجد نفسه عملياً خارج الحلبة. أكثريّةُ مجلاّته أُقفلتْ، أو تواجه أزمةً، ولا وجود لاحتمالات ولادة مجلات جديدة. كأنّ المجلة الأدبيّة أو الثقافيّة لم تعد ضروريّة، واستعيض عنها بالصفحات الثقافيّة والملاحق الأدبيّة في الصحف المختلفة.

الحقيقة أنّ موت المجلات أو أزماتها لا تشكّل صفحاتُ الصحافة الثقافيّة تعويضاً عنها. لن أتطرّق الآن إلى تحليل واقع هذه الصفحات، لكنّي أنطلق من تجربتي وتجربة زملائي في **الملحق**، من أجل أن أقول إنّنا نواجه أزمة فعليّة، نهرب منها إلى الأمام، أو نتحايل عليها، أو نحاول الاقتراب منها.

أزمتنا لا تعود فقط إلى الحرب اللبنانيّة، والصعوباتِ التي يواجهها المشروعُ الاستقلاليّ الديموقراطيّ في لبنان، بل يجب البحث عنها في ضمور أدبيّ وفكريّ لم يستطع، أو لا يزال دون القدرة على بلورة مقتربات جديدة تضع البحث عن شكل ومضمون أدبيَّيْن جديديْن في ترابطٍ مع البحث الذي يتمّ في الفنون الأخرى: العمارة، الفنون البصريّة، فنون العرض، إلى آخره...

نحن على عتبة مرحلة ثقافيّة جديدة يجب أن تُولد وتتشكّلَ وتثيرَ الانقسام. غير أنّ المناقشات التي دارت وتدور تتوقّف في منتصف الطريق: السجالُ حول العمارة الذي انطلق من مشروع وسط بيروت انطفأ فجأةً، والسجالُ حول الرواية التي عرفتْ تحوُّلاً جذريّاً بعد الحرب لم يبدأْ بعد، والسجالُ حول فنون العرض الما بعد حداثيّة لا يزال في دائرة الترجمة...

لماذا لا تتبلور الأفكار؟ هل لأنّ الثقافة اللبنانيّة وقعتْ تحت تأثير «ثقافة الشرفة» أو «ثقافة الفيترين»، فتمَّتْ شخصنتُها، الأمر الذي أدى إلى شيوع ذاتويّةٍ لا علاقة لها بالأسئلة التي يطرحها النتاجُ الثقافيّ؟ أم لأنّ التفكُّك الذي أصاب البنى الإيديولوجيّة خلال الحرب لم يتمّ استبدالُه برؤى تربط الثقافةَ بالمجتمع، وتصوغ فكرةً أو أفكاراً جديدةً للتغيير الثقافيّ والاجتماعيّ والسياسيّ؟

السؤال **الثاني** هو عن أزمة دور المثقف في العالم العربيّ اليوم. والصورة تثير القلق فعلاً. فبعدما قامت الأنظمة العسكريّة، وأنظمةُ الحزب الواحد والزعيم الأوحد، بتحطيم جميع البنى الاجتماعيّة والثقافيّة، وجد المثقفُ نفسَه في المنفى أو في السجن أو في الصمت. والمعادلة التي صيغتْ في مصر، عن حماية الدولة للمثقفين المُحْدثين في مواجهة التيارات الأصوليّة، لم تكن سوى مشروع مبتذل قام بمحاولة خَصْيِ آخرِ ما تبقّى من الدور الثقافيّ التنويريّ، قبل أن ينقضّ على الثقافة نفسها، ويضعَها تحت سنابك القمع والمنع والاتّهام الأخلاقيّ والدينيّ!

هنا أضع أزمةَ الآداب، وأزمةَ **الطريق**، وأزماتِ جميع المنابر الثقافيّة الجديّة. السؤال هو كيف نحرِّر الثقافة الديموقراطيّة من أسر هذه الأنظمة السياسيّة والفكريّة المتداعية من جهة، وكيف نعيد ربطَ الثقافة بالديموقراطيّة والتغيير من جهة ثانية؟

حين أضع الأزمة هنا، فأنا أحاول قراءةَ الفراغ النظريّ والفكريّ الذي لم يواكب النتاجَ الأدبيَّ الجديدَ في كشوفاته، وخصوصاً في ميدان الرواية التي تَشْهد تراكماً نوعياً وأعمالاً سوف تكون شهادةً كبرى على هذا الزمن المملوكيّ وضده.

الأزمة ليست تقنيّة فقط، وليست مرتبطة بالتوزيع والرقابة والكلفة واجتياح الصحافة المنفّطة (من النفط) لكلّ شيء. الأزمة اسمُها الحصار. الثقافة محاصَرَةٌ لكنّها ربما لا تعي ذلك، أو هي غير قادرة على مواجهته، أو لا تملك رؤيا تسمح لها بخوض هذه المعركة الكبرى التي اسمها معركةُ الديموقراطيّة وحريّة الرأي واستعادة المجتمع المدنيّ حقَّه في أن يكون.

الرقابة سوف تستمر، بل سوف تتزايد. والمماليكُ القدامى والجدد سوف يتكاثرون على مائدة النشر والكتابة. المعركة إذاً ليست هنا، لأنّها إذا خيضتْ على هذا المستوى سوف تكون خاسرة.

المعركة يجب أن تتمّ في حلبة أخرى اسمُها أخلاقُ الثقافة. نعم المعركة أخلاقيّة في جوهرها، رغم أنّ التُّهمة الأساسيّة التي يُرمى بها الأدباءُ هي خروجُهم على الأخلاق! وفي المعركة يجب أن يتحطّم ويتفكّك المستوى الأخلاقيّ الكاذب للأنظمة الديكتاتوريّة، وللفكر الاستشراقيّ الجديد في آن واحد.

عنوانُ المعركة هو الحريّة، حريّةُ الكاتب وحريّة القارئ، والحريّتان لا تنفصلان. لا تستطيع أن تكون كاتباً أو فناناً حراً في مجتمع مستعبد. كما لا تستطيع أن تكون فناناً من دون قيم ومعايير موقّتة، توضع من أجل أن تُستبدل بعد حين.

وفي معركة الحريّة هذه لا مكان للعبيد وخدّام الأنظمة ولادعياءِ الحداثة الكاذبين. إنّها معركة كبرى، هدفُها الأول استعادةُ المثقف العربيّ دورَه، وتحطيمُ أوهام «التجسير» أو المساعدات الماليّة البريئة (من مؤسّسات أميركيّة ملتبسة)، والربطُ بين القضية الوطنيّة العربيّة والديموقراطيّة.

قد تجد الثقافةُ الديموقراطيّةُ نفسَها محاصرةً ومعزولة. قد تَضْمر المجلاتُ الباقية أو قد يتراجع توزيعُها بفعل القمع والمنع. قد يجد المثقفون أنفسَهم في قفص الاتّهام من جديد (مثلما يحصل في سوريا اليوم). لكنّ هذه الثقافة المحاصَرة هي العنوانُ الوحيد للحاضر والمستقبل... هذا إذا امتلكتْ تفاؤلَ الإرادة في مواجهة تشاؤم العقل.

الياس خوري

(روائي ورئيس تحرير ملحق النهار)